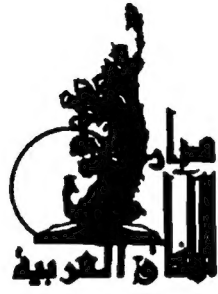


المُسْتَرْشِدُ عَلَى مَزَاعِمِ الْمَشَبَّهَةِ وَالْمَجَسَّمَةِ

تحقيق ودراسة
إمام حنفى عبد الله



الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٧٢٩ لسنة ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 977-5727-57-X

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

عن المشبهة والجسمة في تاريخ الفكر الإسلامى

نهى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عن جمع الحديث وروايته بلا تحفظ خوفاً من اختلاطه بكتاب الله من ناحية ، وخوفاً من الافتراء على رسول الله ﷺ من جهة أخرى ؛ بأقوال لم يقلها ، فيتم تحريف الدين عن مقاصده وأهدافه التي نزل القرآن بها ، وانقسم الصحابة بين متحفظ في الرواية وهؤلاء قل ما نقل عنهم عن رسول الله ، ﷺ ، ولكن كان هناك من الصحابة من توسع في الرواية من أمثال عبد الله بن عمر وأبو هريرة ، رضي الله عنه .

ولكن لم يبق الأمر على ما وضعه عمر ، رضي الله عنه ، فقد جاء من بعده فبدأوا في الرواية والتدوين بشكل ما ، حتى جاء الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، خامس الراشدين رضي الله عنه ، فأمر بتدوين السنة ، وانتشر المحدثون في بقاع العالم الإسلامى يجمعون السنة من الحفاظ ومن المدونات والصحائف وقد كان لبعض الصحابة صحائف خاصة جمعوا فيها قدراً من حديث رسول الله ، ﷺ ، وهكذا نجد السنة قد مضى عهد طويل بين زمن التلقى وزمن الأداء ، حدثت أحداث وجدت أمور على المسلمين اختلف فيها حال التابعين وتابعي التابعين عن حال الصحابة وعصرهم ، وزالت دولة الخلافة الراشدة ، وأذنت دولة بنى أمية بالزوال ، والمسلمون على أبواب خلافة جديدة وهي خلافة بنى العباس ، وتفرق المسلمون إلى فرق وأحزاب بدأ كل فريق في تكوين مذهبه السياسى والفكرى وينصر آراءه بكم هائل من الاحاديث الصحيحة وغيرها ، ولا يرى غضاضة في رواية الحديث طالما ينتصر له على خصمه ، وظهرت ثنائية الشيعة والسنة في الحديث .

ظهرت على يد غلاة الشيعة الكثير من المرويات التي تمجد أهل البيت ، وتسبب غيرهم ، كما تناولت بعض هذه الروايات الذات المقدسة بالتشبيه والتجسيم ، ومثل هذا أيضاً ظهر في جمهور أهل السنة وعامتهم . يؤيد ذلك ما ذكره الشهرستانى

فيقول : (إن جماعة من الشيعة الغالية ، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين يقصد هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي - من الشيعة ، ومثل مضر وكهمس وأحمد الهجيمي ، وغيرهم من غير الشيعة ، قالوا : معبودهم على صورة ذات وأعضاء وأبعاد ، إما روحانية وإما جسمانية ، يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن) (١) .

وإذن فقد ظهر الحشو عند الفريقين من الشيعة وأهل السنة ، وكذلك فرق أخرى كالمرجئة الذين قال بعضهم أن الله جسم لا كالأجسام ، فمن وراء هذا التيار العاتى فى العالم الإسلامى آنثذ ؟.. لقد تسرب التشبيه والتجسيم وكذلك ماثات المرويات من الاسرائيليات فى التفسير على يد المسلمين الجدد ، بقصد أو بدون قصد ، وانتشر القصاص بهذه الاسرائيليات يروجونها ، وكان اليهود وراء هذه الظاهرة .

وقد أرجع العلامة محمد بن زاهد الكوثرى نشأة الحشو إلى أن «عدة من أخيار اليهود ورهبان النصارى ومواذة المجوس ، أظهروا الإسلام فى عهد الراشدين ثم أخذوا بعد ذلك فى بث ما عندهم من الأساطير بين من تروج عليهم ، ممن لم يتهذب بالعلم من أعراب الرواه وبسطاء مواليتهم ، فتلقفوها منهم ورووها لآخرين بسلامة باطن ، معتقدين ما فى أخبارهم فى جانب الله من التجسيم والتشبيه ، مستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد فى جاهليتهم ، وقد يرفعونها افتراء إلى الرسول ﷺ ، أو خطأ ، فأخذ التشبيه يتسرب إلى معتقد الطوائف ويشيع شيوع الفاحشة» (٢) .

ولم يهتم بنى أمية برعاية شعوبهم دينياً ، فتسرب التشبيه والتجسيم لعقائد المسلمين وخصوصاً الأوساط الشيعية التى تشعر بالظلم والاضطهاد من السلطة ، ولكن أدركت عقائدهم السلامة عندما اختلط أكثرهم بالاعتزال ، وبقي الوسط السننى يعانى من حشوية الرواة ، وتجلى ذلك فى مجالس البصرى الذى «تكلّموا فى مجلسه بالسقط عنده ، وضاق صدر الرجل بهم فصاح : ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أى جانبها» (٣) .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ١ / ١٤٨ .

(٢) انظر الكوثرى : مقدمة تبين كذب المفترى ١ ص ١٠ - ١١ .

(٣) المصدر السابق .

ودخل إلى الدين كم هائل من الأحاديث على يد مشبهة الرواة أجازوا فيها على الله التبعية والجسمية ، والرؤية ، والمشي والنزول والمجيئ ، واليدين والقدم والنفس والقوفية ، وصار دينهم جزء أو شبيه بجزء كبير بدين اليهود « خلق آدم على صورة الرحمن » ، و « يضع الجبار قدمه في النار » ، و « قلب المؤمن بين أصبعين من الصابع الرحمن » .

ويعلق الشهرستاني على هذه الظاهرة بقوله أنهم أجروا لفظ هذه الأحاديث : « على ما يتعارف من صفات الأجسام ، وزادوا في الأحاديث أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى الرسول ﷺ . وذهب الشهرستاني أن مصدر هذه الأحاديث هم اليهود فإن التشبيه فيهم طباع ، وأن التوراة مليئة بهذه التشبيهات الغليظة ، ويرد إلى التوراة حديث أطيط العرش : « إن العرش ليشط من تحته كأطيط الرجل الجديد ، وأنه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع » ^(١) . ومن العجيب أن محدثاً مشهوراً كجبر بن مطعم يروى هذا الحديث ، ويرد عليه البيهقي ^(٢) في « الأسماء والصفات » بأن هذا الكلام ، إذا كان جرى على ظاهره فإن فيه نوعاً من الكيفية ، والكيفية عن الله ، تعالى ، وعن صفاته منفية . فعقل أن ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة ، وإنما هو كلام أريد به تقرير عظمة الله وجلاله .

وأفحش الحشوية في مقالاتهم فقالوا بقدم القرآن حروفه وأصواته ورقومه المكتوبة ، وأنها كلها قديمة أزلية ، وكان دليلهم على هذا بأنه لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة ولا كتابة له ، ورتبوا على ذلك نتيجة مشبوهة ، ظنوا أنها منطقية ، هو ما دام الكلام قديماً أزلياً ، فلا بد أن حروفه وكلماته وكتابته أزلية ، وقد استندوا على ما رأوه من إجماع المسلمين على قدم القرآن - كلماته وحروفه وكتابته ! ^(٣)

وضلع فريق من المفسرين في تفسير القرآن الكريم في ضوء الاسرائيليات والتي حملت ظلالاً كثيفة من التشبيه ، ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان ت ١٥٠ هـ والذي

(١) انظر الشهرستاني : ١ / ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) انظر البيهقي : الأسماء والصفات ١ ص ٤١٧ .

(٣) انظر على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي : ١ / ٢٨٨ .

أجمع مؤرخوا المقالات على أنه كان من المشبهة والمجسمة^(١) ، وكان يكذب ويأخذ من اليهود والنصارى ، وربما كانت حركة التأويل العقلى فى الإسلام رد فعل لحركة مقاتل بن سليمان ، وهكذا أدى تطرف المشبهة إلى ظهور تطرف النفاة من أمثال جهنم بن صفوان^(٢) ، وما حديث أطيط العرش ، وغيره إلا من مرويات مقاتل بن سليمان^(٣) وكذلك حديث المقام المحمود ، وشحن تفسيره بالحشو والتشبيه والأحاديث الواهية والموضوعة^(٤) ، ولذلك ليس مستغرباً أن نجد أبا حنيفة ت ١٥٠ هـ^(٥) يلعن مقاتل بن سليمان ، والغريب أن نجد مفسراً من التابعين له دور كبير فى نشر حديث المقام المحمود ، هو مجاهد بن جبر ت ١٠٤ هـ^(٦) .

وجمع مقاتل بين مذاهب رديئة ومتطرفة منها الإرجاء الذى أجمع عليه الأشعرى والشهرستانى ، بل زاد الأمر إلى القول بأن الإيمان قول فقط^(٧) ، وتأتى بعد ذلك فتأخذ الكرامية بقوله^(٨) .

ويبدو أن مقاتلاً جمع بين الأرجاء والتشبيه والتجسيم ، يقول المقدسى إن مقاتل زعم أن الله جسم من الأجسام - لحم ودم ، وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه .. ويقول أيضاً : إنه على صورة لحم ودم^(٩) ، وحكى الأشعرى مثل ذلك^(١٠) ، وتبعه داود الجواربى الشيعى وأصحابه فى مقالته : «إن الله أجوف من فيه إلى صدره ، ومصمت ما سوى ذلك^(١١) له» وهذا يدل على أن التشبيه تشارك فيه مشبهة الحشوية والشيعة الحشوية المجسمة .

ويقول الأشعرى إن داود الجوارى ومقاتل بن سليمان يذهبان إلى أن الله جسم وأنه

(١) انظر الشهرستانى : الملل ١ / ١٥٤ - ١٥٨ .

(٢) انظر المقرئى : الخطوط ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥١ .

(٣) انظر الملطى : التنبيه والرد ، ص ٥٥ .

(٤) حققه وطبعه د/ عبد الله شحاته ، إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٥) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ١٦٣ .

(٦) انظر الذهبى : ميزان الاعتدال ٣ / ٩ ، وأبا نعيم : حلية الأولياء ٣ / ٢٧٩ .

(٧) مقاتل بن سليمان : تفسيره ١ / ١٣ ، ١٥٠ .

(٨) انظر الأشعرى : المقالات ١ / ٢٠٥ .

(٩) المقدسى : البدء والتاريخ ج ٥ / ١٤١ .

(١٠) الأشعرى : المقالات ١ / ١٥٣ .

(١١) الشهرستانى : الملل ١ / ٢١٩ .

جثة على صورة الإنسان .. لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين^(١) .

وهكذا نجد أن القاسم الرسى كان يصارع تيار عاتياً من التشبيه تمكّن من العامة وبعض الخاصة في العالم الإسلامى ، والمهم أنه يعتبر المقاتلية أسلاًفاً للكرامية ويعتبر مشبهة الحشوية كمضر وكهمس والهجيمى هم سلف الكرامية ، ولا يذكر التهانونى فيهم المقاتلية .

وموجز القول فى مقاتل بن سليمان إنه كان مشبهاً ومجسماً ، وقد احتفظ لنا التاريخ بتفسيره تثبت تمام الإثبات تشبيهه وتجسيمه ، وقد سبقه مضر وكهمس وأحمد الهجيمى بلاشك أو عاصروه فى التشبيه .

وقد توقف الدكتور النشار فى كون التجسيم والتشبيه عند مقاتل له أصول فلسفية رواقية جاءت عن طريق المدارس الشرقية والفلسفة الثنوية أو من خلال معرفته بالديصاتية أو المزدكية ؟ قياساً على تأثر أبى الهذيل العلاف ت ٢٣٥ هـ^(٢) فى فكرة الجزء الذى لا يتجزأ على نسق الفلسفة اليونانية ثم أضفى عليه مذهبه الإسلامى^(٣) .

لقد جعلت أفكار مقاتل حول الالهية غاية التطرف ، فحولته إلى «صنم» وقابل ذلك تطرف جهم الذى كاد أن يعبد من شدة التنزيه عدماً^(٤) ، وهذا بعينه ما جعل التيارات المعتدلة يبغضون الفريقين جميعاً ، وفى رسالتنا هذه نجد القاسم يرد على جهم فى الشئ ، كما يرد على مقاتل فى الرؤية والنفس وغيرهما ..

نبغ فى مدرسة التشبيه ولمع اسم محدث مشهور عند رواة الحديث هو خشيش بن عاصم^(٥) (إن خشيشاً ممن سطع نجمه بعد رفع المحنة فى فتنة القول بخلق القرآن عن تقريب المتوكل العباسى النقلة)^(٦) .

(١) الأشعرى : المقالات ١ / ٢٠٩ .

(٢) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ٤٨٠ .

(٣) انظر الخياط : الانتصار ، ص ٤٩ .

(٤) انظر الملطى : التنبيه ، ص ٩٦ ما بعدها .

(٥) انظر الزركلى : الأعلام ٢ / ٣٠٦ .

(٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢ / ١١٩ .

ووصفه الكوتري بقوله (كان يفوه بما ينبذه البرهان ، غير ساكت عما لا يعنيه)^(١) فتورط أمثال هؤلاء في الحشو والتشبيه والتجسيم .

وجاء الملطى^(٢) ت ٣٧٧ هـ وسقط في الحشو والتشبيه والتجسيم في كتابه (التنبيه والرد على أهل الأهداء والبدع)^(٣) شاهد على ذلك ، فيروى عن خشيش صاحب كتاب « الاستقامة » والذي سبق الإشارة إليه ، ومحمد بن عكاشة^(٤) وهو أحد القصاص ورواة الحشوية ، وإن كان للملطى فضل فهو في حفظ وثائق هذا الاتجاه الهام في التراث الفلسفى الإسلامى .

وفى القرن الرابع الهجرى ظهرت حركة كبيرة للحشو والتشبيه على يد المحدث المشهور بحر بن محمد بن الحسن بن كوثر بن على البربهارى ، ولذلك نسبت إليها ف قيل لها : البربهارية ، وهو ممن خلط فى سماعه وأدائه فوجد فى مروياته الحسن ، والردئ وانتهى للتشبيه ، يقول المقدسى : أما البربهارية فإنهم يجهرون بالتشبيه والمكان ، ويرون الحكم بالخطاير ويكفرون من خالفهم ويتمسكون بحديث المقام المحمود^(٥) .

ومهدت بيئة التشبيه والتجسيم إلى ظهور فكرة الحلول ، بل هى تنسب صراحة إلى مضر وكهمس وأحمد الهجيمى ، ويحكى الشهرستانى فى أنهم انتهوا إلى حد الاتحاد المرضى ، (من المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية ، وقال يجوز أن يظهر الله تعالى بصورة شخص)^(٦) .

وفى مجال البيئة الصوفية ظهرت فكرة الحلول والاتحاد وافرضت نفسها على يد صوفية كبار كآبى حلمان الدمشقى^(٧) ، والحسين بن منصور الحلج^(٨) ٣٠٩ هـ ، وآبى عبد الله محمد بن سالم البصرى .

(١) الكوتري : مقدمة التنبيه والرد ، ص ٦٠٥ .

(٢) أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى ت ٣٧٧ هـ وانظر السبكى : طبقات الشافعية ٢ / ١١٢ .

(٣) حققه الشيخ محمد زاهد الكوتري وطبعته المكتبة الأزهرية عدة طبعات .

(٤) يقول عنه الذهبي وضاع وضع آلاف الأحاديث انظر لسان الميزان ج ٢ / ٢٨٦ .

(٥) المقدسى : البدء والتاريخ ج ١ / ١٥٠ .

(٦) انظر الشهرستانى : الملل ١ / ٢٠٣ .

(٧) الطوسى : اللمع ، ص ٣٦٢ .

(٨) الذهبي : لسان الميزان ٢ / ٣١٤ .

فأما أبو حلمان الدمشقي فكان يعيش في دمشق وأظهر دعوته فيها ونادى بحلول الله في الأشخاص الحسنة ، وكان هو وأصحابه إذا رأوا صورة حسنة ، سجدوا لها ، متوهمين أن الله حل فيها ، وكانوا يستدلون على جواز حلول الله في الأجساد ، يقول الله تعالى للملائكة في آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢٩) [سورة الحجر الآية ص ٢٩] . وأن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه حل فيه ، ولذلك كان في أحسن تقويم والله يقول : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (٤) [سورة التين الآية ٤] .

ولم يكن حظ العراق من الحلولية بأقل حظاً من الشام ، فقد ذكر ابن الجوزي أنهم انتشروا في العراق ، فيقول (حكى قوم من المشبهة بأنهم يجيزون رؤية الله بالابصار في الدنيا ، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم في السكك ، وأن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ، أو يدعون أنهم يزورونه ويزورهم ، وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوسوس وأصحاب الخطرات) (١) .

أما الحسين بن منصور الحلاج الذي قتل سنة ٣٠٩ هـ ، فقد اختلف في تكفيره بسبب آرائه في الحلول وقوله على الله الفقهاء والصوفية ، أما المتكلمون فقد أجمعوا على تكفيره (٢) . أما الحشوية من المنايلة والسالمية فقد احتفلوا بآرائه وقبلوها (٣) ، يقول البغدادي (وقبله قوم من متكلمي السالمية بالبصرة ونسبوه إلى حقائق معاني الصوفية) (٤) . ولعل هذا يفسر تعصب السالمية له من ناحية ، والحنابلة من ناحية أخرى في بغداد وقيامهم بالشغب (٥) .

وأبو عبد الله محمد بن سالم البصري ت ٢٩٧ هـ ، هو أحد تلاميذ سهل بن عبد الله التستري (٦) ت ٢٨٣ ، وكان ابنه صديقاً لمجاهد بن جبر المفسر المشهور ، وكانت السالمية كمذهب صوفي ذات أثر كبير في العالم الإسلامي ، واعتنق أبو طالب المكي

(١) ابن الجوزي : تلبس إبليس ، ص ١٧٣ .
(٢) انظر الأسفرايني : التبصير ، ص ١٣٠ ، ١٣٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) البغدادي : أصول الدين ، ص ٣٢٢ .
(٥) النشار : نشأة التفكير الفلسفي ج ١ / ٢٩٣ .
(٦) السلمي : طبقات الصوفية ٢٠٦٤ .

ت ٣٨٦ هـ^(١). مذهبه وعمل على نشره ، وامتدح صاحبه في كتابه^(٢) وجعله من الاولياء الواصلين ١ .

أما عقائد السالمية فاهمها : الخلق المستمر .. فالله خالق في كل آن ، يفعل في كل حركة وسكون ، وفعله القديم يجعله متجلياً في كل مكانة وعلى الاخص على لسان كل شئ للقرآن ، ويتجلى الله في صورة إنسانية ، بحيث يراه الخلق عياناً في الآخرة .. يتجلى في صورة « محمدى » كما أنه « محمد » ، كما أنه يتجلى في الدنيا عياناً لأولياءه . وبهذا أذاع السالمية بين الصوفية القول بتجلى الله في الصور ، كما أن الله مشيئة قديمة وإرادات غير حادثة تقع بها المعصيات من غير أن يأمرهم بها أو يريد لها منهم ... وللسالمية عقائد كثيرة منكرة عند أهل السنة ذكرها أبو طالب المكي في كتابه « قوت القلوب » ، وكان لها - تأثير كبير على الصوفية من بعد كالغزالي ت ٥٠٥ هـ الذي تأثر بالقوت تأثراً كبيراً في كتابه « إحياء علوم الدين » ، أما المدرسة والمذهب فقد أثروا في الباطنية الاسماعيلية بالاندلس ، بدأ بابن برجان ت ٥٣٦ هـ ، ومارة بابن قسى وابن عربى ت ٦٣٨ هـ . ويقرر ابن تيمية أن كثيراً من آراء ابن عربى في وحدة الوجود اتخذت لها صيفاً سالمية ، ثم إن كثيراً من آراء السالمية حفظت في عقائد الشاذلية^(٣) .

الكرامية

ثم ظهرت الكرامية على يد محمد بن كرام ت ٢٥٥ هـ^(٤) في بلاد ما وراء النهر ، ووجدت لها ناصراً في الدولة الغزنوية ومحمود وابن سبكتكين سلطانها^(٥) ، وصار لها أتباع وأتباع بالآلاف في عصر مؤسسها ، وظل المذهب موجوداً ، وله أتباع الآن بالملايين ، فلماذا ؟ ..

لماذا عاش المذهب وناصره العامة ، ودافع عنه في عصره وبعده الحنابلة ، يبدو أن ما يحمله من عقائد تشبيهية وتجسيمية أقرب إلى قلوب العامة من غيره .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١ / ٤٩١ .

(٢) قوت القلوب : طبع الانوار المحمدية في مصر في مجلد كبير .

(٣) انظر النشار : مصدر سابق ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية « السالمية » .

(٤) انظر الشهرستاني : الملل ١ / ٢١ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٢٩ .

(٥) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٢ / ٢٧ وما بعدها .

يقول الشهرستاني : « شيع رجل متنمس بالزهد من سجستان ، يقال له أبو عبد الله بن كرام ، قليل العلم ، قد قمش من كل ضعفًا ، وأثبتته في كتابه ، وروجه على أغنام غزنة وغور وسواد بلاد خراسان ، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبًا ، وقد نصره سبكتكين السلطان ، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج ، وهم مجسمة ، حاشا محمد ابن الهيصم ، فإن مقارب »^(١) .

إذا نحن أمام مذهب تكون من « تناتيش » وفضلات أفكار كونت ثوبًا مرقعًا من التشبيه والتجسيم في التوحيد اقتربوا به من الخوارج وورثوا بها مدرسة مقاتل بن سليمان وداود الجواربي من المجسمة .

وتتلخص آراء الكرامية في العقيدة في أن الله جسم لا كالأجسام والغلو في إثبات الصفات الخبرية والعقلية ، فقالوا بالعرشية والجسمية والتحيز والنزول والمجئ .. إلخ^(٢) . وقد تأثر ابن كرام بمذهب الرواقية في فكره التشبيهي فوقع في مذهب أحادية المادة ، ووحدة الوجود ، فالوجود جسم واحد هو الله ، وما عداه أفعال أو أعراض^(٣) ، وربما أخذ هذا الفكر من هشام بن الحكم المجسم الشيعي المشهور^(٤) ت ١٩٠ هـ ، وأداه إلى غيره حتى تبلور في فكرة ابن عربي ت ٦٣٨ هـ ومدرسته الاتحادية !

ويقول الشهرستاني عنه : « إن الله أحدي الذات ، أحدي الجوهر » والله عز وجل بذلك جسم لا كالأجسام ، وله وجود وبقاء وذات لا كغيره ، ويتناهى من جميع جوانبه وله مكان هو العرش ويرى في جهة فوق^(٥) !.. إلى آخر ما ذكره أصحاب الفرق^(٦) .

يقول الاسفرائيني مفسرًا قول الكرامية في الجهة والماسة اتصل المذهب

(١) الشهرستاني : السابق ١ / ١٠٦ .

(٢) انظر الأشعري : المقالات ١ / ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٣١ وما بعدها .

(٤) انظر : الاسترأبادي : منهج المقال ، ص ٣٥٩ .

(٥) الشهرستاني : مصدر سابق ١ / ١٢٤ .

(٦) الأشعري : مصدر سابق ١ / ٢١٥ .

الكرامى بعد ذلك فى الهروى الانصارى الصوفى السلفى الشهير ت ٤٨١ هـ^(١) ، فيكتب كتاباً فى ذم الكلام يحفظه لنا السيوطى فى كتابه «صون المنطق»^(٢) .. وكذلك «منازل السائرین إلى رب العالمين»^(٣) . فدون فيهما أفكاره التشبيهية والتجسيمية الخالصة من القول بالعرشية المادية والاستوائية الحسية لله ، مروراً بالرؤية السعيدة ولذة النظر الحسى لله ، ليرث ابن عربى بعد ذلك هذا الفكر ليصدر عنه أكبر مذهب خطير على العقائد الإسلامية وهو مذهب وحدة الوجود^(٤) .

ويصعب فهم الهروى دون مقارنة آرائه بآراء الكرامية ، وكلاهما سقط فى القول بالاتحاد ، والذي يجمع بينهم جميعاً الزهد والتصوف !

وانتهى التشبيه والتجسيم بمدرسة تقى الدين بن تيمية ت ٧٢٨ هـ الحنبلى المتأخر ، وقد نشأ فى بيئة يحيط بها التشبيه من جوانبها ، ليؤدى هذا الفكر حتى هذا العصر ، والذي يؤمن بمذهبه ملايين المسلمين !

هذا هو الفكر الذى كتب القاسم بن إبراهيم ليرد عليه فى كتابه المسترشد ، ليعلم مدى أهمية هذه الرسالة فى الدفاع عن العقائد الإسلامية صافية خالصة ، بعيدة عن التأثيرات الفلسفية الوافدة أو الأفكار التراثية الساذجة ، وحتى لا ينتهى أمر العقيدة إلى بقايا أديان مختلفة لا علاقة للإسلام بها .

وهذا هو الفرق بين منهج ومنهج ، وفكر وفكر ، من هو الاصيل منهما ، ومن هو الدخيل .. ؟ لقد أصل القاسم لمنهج إسلامى خالص فى الفكر الكلامى ، فأين يقع مكانه من تاريخه ؟! هذا هو ما تقدمه هذه الرسالة .

فقال : (وهذا شبيه بقول الثنوية إن معبودهم الذى سموه نوراً يتناهى من الجهة التى يلاقى منها الظلام ، وإن لم يتناه من خمس جهات) . إذاً فمصدرهم مجوسى ثنوى ، والثنوية تؤمن أن يزدان فكر فى نفسه فكرة رديئة خلق منها أهرمن إله الشر

(١) انظر ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٦٤ ط . بيروت ١٩٥١ .

(٢) انظر ؛ السيوطى جون المنطق ؛ ص ٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) انظر الهروى الانصارى : منازل السائرین ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٨ .

(٤) انظر ابن عربى ج ١ من الفتوحات المكية ط بيروت دون فيها عقيدته .

والظلام فجوزوا : (أن يظهر له منازع فى مملكته ، فاهتم لذلك ، فحدثت فى ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة ، فخلق منها الشيطان) ١ .

وبذلك جاز عند الكرامية حلول الحوادث فى ذات الله ، جوزوا حلول الالم واللذة والشهوة والموت والمعجر فى ذاته ! .. تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ثم تأثروا بالهيولى الافلاطونى ، فقد كانت فى الازل جوهرًا خاليًا من الاعراض ثم حدثت الاعراض فيها ، وهى لا تخلو منها فى المستقبل إن : (لكل موجود إيجاداً ولكل معدوم إعداماً) .. أو أن : (إيجاداً واحداً يصلح لموجودين ، إذا كانا من جنس واحد ، وإذا اختلف الجنس تعدد الإيجاد) غير أن افلاطون لم يذهب إلى القول بأن الصور فى الذات الإلهية ، ولكنه يذهب إلى أنه أبدع الموجودات على مثال صور أو مثل فى عالم المثل .

إننا أمام افلاطونية جديدة تضع الصور فى ذات الله ، وترجم المثل الافلاطونية بفكرة المعانى الحادثة فى ذات البارى ، مما يخالف فكرة الفيض عن .. إلى الفيض فى ذات البارى وهو بذلك قريب من الاتحاد بالعالم وجوداً وإعداماً ، ويحمل أيضاً فكرة فلسفية خالصة وهى أن العالم موجود بالقوة فى ذاته ، وهو يحدثها بالفعل إلى عالم الوجود .

* * *

حول الرسالة ومنهج القاسم فيها

١- يرد القاسم في هذه الرسالة على المشبهة والمجسمة ، وقد زعموا أن الله في السماء واستدلوا على ذلك بالنص القرآني ، فرد عليهم بأن هذه النصوص هناك نصوص مثلها تدل على أنه ليس في السماء فأيهما أولى بالتصديق وإيهما أولى بالرد ، فللصعود معان في اللغة ، وللفاء معان أيضاً تحتملها لغة العرب الذي نزل بها القرآن ، على غير ما قصد المشبهة من المكانية ، والتي هي ممتنعة على الله ، وعقب على ذلك بقوله : (فالمعنى في ذلك كله المشاهدة والتدبير ، لا على أنه في شيء يحويه ، ولا على أنه مع شيء ملازم له ، ولا على أنه على شيء ، كما الإنسان على السرير وعلى السطح ، قد خلا منه ما هو أسفل من ذلك !) .

٢- وكذلك نفى كونه تعالى على العرش ، لأن العرش ليس بأحق من غيره من الأماكن ليوحد فيه الله ، وهو ما يعلن بالتحيز والجهة ، وكل ذلك منفي عن الله عقلاً ونقلاً ، وكيف يمكن الجمع بين كونه تعالى في السماء ، والعرش نفسه فوق السماوات على حد قولهم ؟ ..

وهناك من المشبهة من قال بأن الله تعالى نفس " كنفس الإنسان ، فرد عليهم ، وبين أن لهم أن للنفس معان مختلفة في اللغة العربية يليق بعضها بذات الباري . فلم حمل المشبهة معنى النفس في القرآن على أنها نفس كنفس بني آدم ؟ !

يرجع القاسم ذلك إلى جهلهم بالخطاب الإلهي وعدم معرفتهم بحقيقة التوحيد ، وجهلهم بلغة العرب الذي نزل القرآن بها .

٣- المسألة الثالثة كانت في رده على من زعم أن الله نوراً كالأنوار المخلوقة ، وهي عين مذهب المجوس والثنوية ومذهب المانوية في كونه تعالى نوراً والشيطان هو الظلمة ، أو أن العالم ما هو إلا النور والظلمة وقد حدث من امتزاجهما ، إلى آخر ما قالوا وسيرد عليهم بتفصيل أكبر في رسالته التي رد فيها على ابن المقفع وحققناها .

فبين القاسم أن النور المقصود في قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض .. ﴾ ليس ذلك ولا يمكن أن يكون هو بحال من الأحوال . والله (استنار لنا بتدبيره من غير مشاهدة مثاله ، ولا إحاطة به ، ولا إدراك من حواسنا له) .

فمن عرف الله وتعرف عليه وأدركه ، كان ذلك (بتدبيره ونوره وعلامته لا بمجاهرة منهم له ولا بالمشاهدة والملاقاة) . وللنور تأويلات أخرى مختلفة بحسب معانيها فى اللغة العربية ، منها ما يليق بذات البارئ تعالى ، أما ما قصده الملاحدة فلا ، وكذلك معنى ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ لا ينبغى صرفها إلى ظاهرها الذى يعنى التشبيه والتجسيم ، وإنما اللائق بذات الله هو أن يكون مثل نور النبى الذى جاء به مثلاً ، أو قلب المؤمن فى نور إيمانه ، أو ما شاء الله من المعانى المصروفة إلى غير معنى التشبيه ويصدق ذلك أيضاً على قوله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ وغيرها من المعانى الشريفة .

٤- وكذلك صيّر المشبهة مفهوم الشئ فمالوا إلى التجسيم أما الجهمية فقد مالوا إلى أقصى التنزيه فأنكروا الشيئية فى حق الله ، عز وجل ، وهكذا مال قوم إلى التشبيه فأفرطوا وآخرون إلى التنزيه ففرطوا ، وكلاهما حاد عن سواء القصد فهو ذميم !..

فالله ، تعالى ، وسم المعانى بأن قال : هى شئ ، لإخراجه لها من العدم إلى الوجود ، وهذا يعنى أن الشئ هو الموجود فى مقابل العدم ، (والله شئ لا يشبه الأشياء) وهو خالق الأشياء ومشئها ، ولا يشبه شيئاً من خلقه ، وفى غير ما مثلية ، فالتشبيه لا يجوز إلا على ضد ومثل .

ف(الله شئ) واحد كريم ، والله شئ عزيز ، والله شئ ليس كالأشياء ، فيكون ذلك مدحاً ، ولا يذكره العبد التقى إلا وهو فيما ذكر من أسمائه ما دح .

٥- أما المسألة الخامسة فكانت فى الرد على من أنكر أن يكون الله واحداً ليس بذى أبعاد ، لقد نقض الإسلام التصور الأرضى للإله ، ذو القدرات الخاصة « السوبر » وأكد على قيوميته تعالى وفردانيته ووحدانيته ، فلا ثانى معه ، ولا مثل له فى صفة ولا فى ذات ولا فى قول ولا فعل ولا معنى من المعانى ... والواحد له معان كثيرة فى اللغة منها الأول الفرد ، وهو العدد الحسابى ، أو بمعنى أنه أول الأشياء ، والله واحد لا من عدد وليس له فى وحدانيته شبيه ولا نظير فى ألوهيته ولا فى ربوبيته .

ورفض التبعية القاسم وغيره على الله ، فالله ليس بجسم ، والأعضاء من

خصوصيات الاجسام فلا يد له كأيدينا ولا رجل له كأرجلنا ، ولا على غير مثالنا ، فالكون لا يقوم إلا بمكون ، والطول لا يقوم إلا بمطول والأبعاد لا تكون ولا تقوم إلا باتصال بعضها ببعض ، والله على غير هذا ، ولا تقوم إلا باتصال بعضها ببعض ، والله أو يلحقه ، والله ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير (لا يشبه معانى البشر ولا والحساب وهو اسقاط الثانى ، وليس ثان مع الله ولا واحد غيره فى معناه ، كهو وإثباته واحداً تعطيل الثانى ، توحيد الأول والواحد الباقي الذى ما سواه ثان) .

٦- المسألة السادسة كانت رده على من زعم أن لله وجهاً كوجه الإنسان ، وإذا كان الله أنزل القرآن بلغة العرب وهى لغة الإيجاز والبلاغة ، فقد جعل الله بيان القرآن فى هذه اللغة وفى تصاريفها وهو مما يعلمه ويدركه العلماء الراسخون ، والمشكلة فيمن نحى اللغة جانباً ، وبدأ فهم النص من عندياته ، فهلك وأهلك وضل وأضل ، وقد ذكر الله الوجه فى أكثر من موضع ، فهل يعنى هذا أنه ذكر بعضه على وجه التحقيق ؟!

هذا ما نفاه كل بصير ، وجاء القاسم ليرد بشدة على هذا الزعم وقد ذكر لذلك تأويلاً وتفسيراً مقبولاً على معانى ما جاء فى اللغة العربية ، لا يحمل معنى التبعية أو التشبيه والمثلية وكذلك يليق بذات الله تعالى ، وقد يكون وجه الله هو العمل الصالح والقول الحسن والثواب ..

٧- أما المسألة السابعة فكانت فى نفى الرؤية ، والرد على من زعم أن الله تدركه الأبصار وتحيط به الأعين ، تعالى عن ذلك ، بما تعنيه من إحاطة وجهة وتحيز ، وقدم القاسم معان كثيرة للرؤية سوى ما يفهم من الجهة والإحاطة وغيرها .

ثم قدم تفسيراً لمعنى الرؤية عن رسولين كريمين هما إبراهيم وموسى ، عليهما السلام ؛ فيقول القاسم : (إبراهيم وموسى . فى سؤاليهما وقوليهما لم يسألا ربهما أن يرياه جهرة ، بمعنى ما يرى البشر البشر ؛ لأن ذلك شرك ..) .

فلم يحدث الله فى الجبل رؤية ، ولا كان للجبل عين ولا عقل يدرك الرؤية أما معانى التجلى الإلهى على الجبل فقد أفاض فيها القاسم .

وقد يظن مع ما ذكرنا أن القاسم ينكر الرؤية في الآخرة ، قياساً على إنكاره لها في الدنيا ، ولكنه يثبتها فيقول (يراه أولياؤه وينظرون إليه نظر مخلوقين إلى خالق ينتظرون ثوابه ، يرون تدبيره لا كنظر مخلوقين إلى مخلوق ؛ لأنه ليس كالمخلوقين ، ولا يجوز أن يُقال : نظر إلى من ليس كالمخلوقين ، كما ينظر إلى المخلوق ...) وفي الخلق ما لا يرى وهو الروح والعقل ، وما أشبههما ، فلا يقال : إن شيئاً من ذلك يرى كما ترى الأشخاص (...) .

إذاً المخالفة بينه وبين من يثبت النظر في الآخرة مثله ، هو أنه يصرفها عن معنى الرؤية التي يفهمها بشر من بشر ، وهم يثبتون هذه الرؤية الحسية ، وقد أفاض القاسم في نفى الرؤية على معنى ما ذكر قوم موسى ، عليه السلام ، ونفى أيضاً اتهام موسى بأنه طلب الرؤية الحسنة ؛ يقول القاسم : (لو كانت مسألة موسى على ما توهم المشبهون ، لنزلت به من الله العقوبة ، مثل ما نزل بغيره ، ولغلظ الله ذلك تغليظاً يعلم العباد أنه أكبر من الصغائر ، وفي تكفير الله ، عز وجل ، الذين قالوا : أرنا الله جهرة ، إخراج مسألة موسى ، عليه السلام ، من معنى رؤية الجهرة ، وإخراجه من جهل القوم بالله) .

كما رفض القاسم روايات المشبهة في الرؤية لأنها تتعارض مع روايات أخرى تنفيها ، مع ما تحمله هذه الرويات من إثبات ما لا يليق بمقام الألوهية ، من التحيز والجهة والتبعض والجسمية ، والعرض كاللون والهيئة .

وأول القاسم معنى « لقاء الله » ، وكذلك « حجاب الكفار » عنه يوم القيامة ، وفسّر النظر بمعنى الدعاء ، ونفى أن يكون النبي ، ﷺ ، قد رأى ربه في الإسراء والمعراج ، وإنما رأى جبريل عليه السلام على حقيقته وهيئته التي خلقه الله عليها ، أما الإدراك في الآخرة فهو بمعنى المشاهدة والملاقة جهرة ، أو ما يرد على القلب ، وهو يتفاوت بتفاضل المؤمنين بعضهم عن بعض .

وفي آخر هذه الرسالة يقدم مفهوماً لإدراك الله في الدنيا يرد على قلوب العارفين الصالحين من عباد الله تبدو به سمات شخصيته الروحية والصوفية العارفة ومعايشته للإيمان تجربة ومنهاجاً .

فى وصف المخطوط :

هذا المخطوط هو أحد رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الموجودة بالمكتبة المتوكلية اليمنية الكائنة بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٦٧ علم الكلام ، ومصورة برقم ٢١٤ فى دار الكتب المصرية ، وهذه الرسالة أيضا ضمن مجموع كتب القاسم من ورقة ٥٧ - ٦٩ ، ويلى الرسالة موعظة للمؤلف ، عدد أوراقها ١٧ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ X ١٥ سم .

* * *

منهج التحقيق :

- ١- قمت بنسخ الرسالة وإعادة قراءتها وتقويمها وضبطها .
- ٢- خرجت الآيات والاحاديث .
- ٣- قمت بالتعليق والترجمة للرجال .
- ٤- وضعت الفهرس والعناوين الداخلية .
- ٥- وضعت مقدمة للرسالة مع ترجمة للمؤلف وكتبه ووصف المخطوط .

* * *

القاسم الرسى

هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنى العلوى ، أبو محمد ، المعروف بالرسى (١٦٩ - ٢٤٦ هـ = ٧٨٥ - ٨٦٠ م) فقيه ، شاعر وإمام ثائر من أئمة الزيدية ، عاش فى عهد الدولة العباسية وعاصر الخليفة هارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ، وشارك فى الدعوة السرية للشيعة فدعا للرضا من آل محمد ، ومارس الدعوة السرية ، ثم تحول إلى الثورة والخروج بعد مقتل أخيه محمد بن إبراهيم بن طباطبات ١٩٩ هـ .

ودعا لنفسه وأخذ البيعة من الناس والتف من حوله الجميع ، وكانوا يعدونه نجم ال محمد ، واتصف بالجدود والزهد ، واختفى فى مصر مدة عشرة سنوات ثم خرج إلى الحجاز واليمن ، وهناك ثار على الدولة فطاردته جنودها ، فعاد للاختفاء مرة أخرى فى البادية .

واستمر مختفياً مدة حياة المأمون ، وعاد الظهور بعد وفاته ، ولكن انتهى به الحال إلى المسلامة والموادعة فاشترى جبل الرس بالقرب من المدينة وتفرغ للدعوة السرية والتأليف وتحصيل العلم ، والحقيقة أن القاسم كان فطناً كيساً ولم يرد أن تنتهى حياته ككل الثوار الخارجين ، وكان مقدراً لقدراته وامكاناته ، ولذا بقى فى الرس هناك حتى توفى ودفن .

* مؤلفاته :

- ١- المديح الكبير .
- ٢- المديح الصغير .
- ٣- الرد على النصارى .
- ٤- الرد على الروافض .
- ٥- الإمامة .
- ٦- تثبيت الإمامة .
- ٧- الرد على المجبرة .

- ٨- الأصول الخمسة .
- ٩- الفرائض .
- ١٠- سياسة النفس .
- ١١- العدل والتوحيد .
- ١٢- الرد على ابن المقفع .
- ١٣- الناسخ والمنسوخ .
- ١٤- فى العدل والتوحيد .
- ١٥- الدليل الكبير .
- ١٦- الدليل الصغير .
- ١٧- المسترشد .
- ١٨- الرد على الملحدين ومناظرته .
- ١٩- القتل والقتال .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧ ظ / الحمد لله وعليه نتوكل ، وهو حسبنا ، وكفى ونعم الوكيل ؛ قال القاسم ابن إبراهيم عليه السلام :

الحمد لله ، الذى لا تدركه الابصار ، ولا تحيط به الاقطار ، الذى لم تهجم عليه العقول بفكرها ، ولا الفكر بمحالها ، ولا الالباب بتدبيرها ، الذى لم ينفصل عن المخلوقين ، فيكون عنهم بعيداً ، ولم يتصل بهم فيكون لهم مخالطاً .

❦ الله فى كل مكان ، والرد على من قال هو فى السماء .

إن سأل سائل ، ذو حيرة ، عن قول الله ، عز وجل : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر : آية ١٠] ، وتوهم أن الله ، تبارك وتعالى ، ارتفع فى مكان ، دون الاماكن ، وعاب من قال : إن الله بكل مكان ، يصعد من الله إلى الله إذ قال : إنه فى السماء وفى الارض ؟ .

فجوابنا فى ذلك : إن الله ، تبارك وتعالى ، فى الاماكن كلها ، مدبرٌ حافظ قائمٌ عليها ، لم يحوه ولم تحط به ، ولا نقول : يصعد منه إليه ، فنصفه بالغاية والتحديد ، وأنه ، سبحانه ، فى مكان دون مكان . ولكن نقول : إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق ملائكته ، وتعبدهم بما شاء ، فكلف بعضهم ، نقله للأخبار من السماء إلى الأرض ، ونقله للأخبار من الأرض إلى السماء ، وأنه خلق السماء ، فاسكنها ملائكته لعبادته ، بعضهم ينسخ أعمال الآدميين ، ووكل بعضهم رقيباً وحافظاً على الملائكة ، التى وُكِّلَتْ بنسخ أعمال الآدميين ، وكذلك قال الملائكة ، صلوات الله عليها : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [سورة الصافات : آية ١٦٤] أى ما وكلوا به من صنوف التعبد .

وقوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر : آية ١٠] ، ومعناه فى الآية الاخرى ، مثل قول إبراهيم الخليل ، عليه السلام : ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيِّدِينَ﴾ [سورة الصافات : آية ٩٩] ، ولم يبرح الأرض ، فى حال ذهابه إلى ربه ، وقد كان معه .

وقد قال ، لكليمه موسى وأخيه هارون ، صلى الله عليهما : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ
وَأَرَى ﴾ [سورة طه : آية ٤٦] .

٥٨ و / وذهابُ إبراهيم ، صلى الله عليه ، إلى ربه في الحالة التي ربه معه فيها ،
وإنما معناه في ذهابه إلى ربه ، توجيهه إليه بعبادته ، وتشاغله عن سواه ، وكذلك
توجيه الملائكة ، تصعد بأعمال العباد ، إلى الموضع من السماء ، التي تعبدت به ،
ولتصعد بأعمال العباد إليه ، وإنما توجهت بتلك العبادة إلى الله ، كما ذهب إبراهيم
إلى ربه ، بمعنى توجهه بعبادته إليه .

* ووجه آخر في الصعود ، وهو القول بذلك ، لأنك تقول : لا يصعد إلى الله هذا
الكفر ، ويقال : قد نسخت الملائكة أعمال الكافرين ، وصعدت بها إلى الله ، وهو لا
يقبلها ، ولا تصعد إليه أعمالهم ، بمعنى : لا يقبلها .

وكذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [سورة فاطر : آية ١٠] ، بمعنى :
إنما يقبل الله الكلام ، بالعمل الصالح .

فإن لجَّ السائلُ بالشغب ، وقال : يصعد من الله إلى الله ؟ ..
معاني الفاء في اللغة العربية ^(٢) :

قيل له : ولكن يصعد الكلام الطيب ، من المكان الذي لا يخلو ^(١) منه ، إلى السماء
التي فيها الله ، والله على العرش استوى ، وهو عنه غير غائب ، وهو في السموات العلا
وفي الأرض ، ولم تغب عنه نجوى ، وكذلك قال في كتابه : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ
يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ إِذَا هِيَ تَعُورُ ﴾ [سورة الملك : آية ١٦] ، فأخبر أنه في السماء إلهٌ ،
وفي الأرض إلهٌ ، وكذلك قال : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الانعام آية ٣]
« وفي » لها معان تختلف في اللغة ، ليس شئٌ إلا وهو لا يخلو من أحد هذه المعاني ،
التي نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى

١ - إما أن تكون « في » ^(٣) بمعنى قول القائل : الناس في عامهم هذا مخصبون .

(١) في الأصل : لا يخلو .

(٢) انظر ابن هشام : المغنى للبيب ١ ج ١ / ١٦١ - ١٧٠ .

(٣) في الأصل : فيه .

٢- أو يكون الشيء «فى» الشيء محوياً ، كاللبن فى وعائه .

٣- ويكون الشيء «فى» الشيء ، كالحى فى حياته .

٤- ويكون الشيء «فى» الشيء ، كالابيض فى بياضه .

٥- ويكون الشيء فى الشيء ، كالعبد فى سلطان مولاه .

٦- ويكون فى الشيء ، كالمرباط فى رباطه ، والغازى فى غزاته ، والبانى فى بنائه .

فاعرف هذه اللغات ، كيف تتصرف معانيها ، وتتوجه فى تصاريدها .

وقد يكون ايضاً «فى» إنما هو «مع» ، وفى القرآن مثل ذلك قول الله ، سبحانه :

﴿ اَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ [سورة الاعراف : آية ٣٨] ، فمعنى قوله :

ادخلوا فى امم . أى : مع امم .

وكذلك قال : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ ﴾ [سورة الاحقاف : آية ١٨] ، يعنى : مع امم ،

و(قوله) ^(١) : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النمل : آية ١٩] (أى :

مع عبادك الصالحين) ^(٢) ، وقال ، سبحانه : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ [سورة النمل : ١٢] أى :

مع تسع آيات ، وقال : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [سورة نوح : آية ١٦] ، بمعنى : معهن .

* ومعنى آخر فى تاويل «فى» يكون تفسيره ، على ما قال الله ، تبارك وتعالى :

﴿ وَلَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ [سورة طه : آية ٧١] ، يعنى : على جذوع النخل . وقال :

﴿ فَأَصْبَحَ يُلْقِبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾ [سورة الكهف : آية ٤٢] ، يعنى : عليها . وقال :

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ﴾ [سورة طه : آية ١٢٨] يعنى : يمشون على قراهم .

* ومعنى آخر من معانى «فى» يكون تفسيره «ال» ، وذلك فى قوله ، عز وجل :

٥٨ ظ / ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء : آية ٩٧] يعنى : إليها .

* وقد يتجه تفسير «فى» إلى معنى آخر ، قال الله ، سبحانه ، فى كتابه : ﴿ وَمَنْ

كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : آية ٧٢] ، أى : عن

هذه النعمة ، وعن ذكر آياتى ، فهو فى الآخرة أعمى .

* وقد يتجه على معنى آخر ، فى قوله ، فيما أخبر عن فرعون ، وقوله لموسى ،

(١) زيادة ليست فى الاصل .

(٢) زيادة وتكملة من الهامش .

عليه السلام : ﴿ وَلَيْسَ لَنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنَّينَ ۝١٨ ﴾ [سورة الشعراء : آية ١٨] ، أى : عندنا .
 وقال : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ [سورة هود : آية ٩١] ، بمعنى : عندنا ، وقال الله ، تبارك
 وتعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [سورة الحديد : آية ٤] فالمعنى فى ذلك كله ، المشاهدة
 والتدبير ، لا على أنه فى شئ يحويه ، ولا على أنه مع شئ ملازم له ، ولا على أنه
 على شئ ، كما الإنسان على السرير ، وعلى السطح ، وقد خلا منه ما هو أسفل من
 ذلك ا

ومن ذلك قول الشاعر :

وَصَرُنَا خَالَتَيْنِ وَلَيْسَ مَعَنَا سِوَى رَبِّ الْبَنِيَةِ وَالْمَقَامِ

فمن أنكر ذلك ، وزعم أن ربه فى مكان دون مكان هو ؟! ..

فإن قال : على العرش .

قيل له : ^(١) أو ليس العرش غير السماوات والأرض ؟!

فجوابه : نعم . فيقال : كيف قلت . هو فى السماء ، زعمت أنه على العرش ،
 والعرش غير السماوات والأرض ، وفى هذا رد لقول الله سبحانه : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الأنعام : آية ٣] ١١٩

وإن قالوا : إن العرش ليس فى السماوات ، ولكنه فوقها . عطلوا السماوات من
 العرش ، وفى تعطيلهم السماوات من العرش ، تعطيل ما قالوا : هو على العرش دون
 ما سواها .

* تأويل النفس والرد على المشبهة فيها :

الرد على من قال : إن لله نفساً ، كنفس الإنسان .

إن سأل سائل ، ذو خبرة ، عن قول الله ، عز وجل : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
 نَفْسِكَ ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٦] وعن قوله ، سبحانه ، ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة
 الأنعام : آية ١٢] ، وتوهم أن لله ، عز وجل ، نفساً كنفس الإنسان ، وأنها جزؤ الجسم ،
 وأنها جوهرٌ يقيم الأعراض .

قيل له : إن معنى قول الله ، سبحانه ، فى كتابه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٦] ، أى : يعلم ما أعلم ، ولا أعلم الذى تعلم ، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةُ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٢] ، فالكاتب هو المكتوب عليه ، و(ليس بمعنيين ، ولا شيئين ، أحدهما غير الآخر ، بل الكاتب هو المكتوب عليه)^(١) ، وهو الله ، عز وجل ، الكاتب والمكتوب عليه .

وإن زعم : إن النفس معنى غير ذاته ، وزعم أنه شخص .

يُسأل عما فى النفس ، (: أهى النفس)^(٢) ، أم غير النفس ؟

فإن زعم أنها غير النفس . زعم أن فى ربه غير ربه !

وإن زعم أن الذى فى النفس ، هى النفس . زعم أنه لا معنى لقوله : ﴿ فِي نَفْسِي ﴾

[سورة المائدة : آية ١١٦] .

ويسألون : هل كانت النفس ، وفيها ذلك الذى هو غيرها ؟

فإن زعموا أنه لم يزل . حجدوا قول الله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ ﴾ [سورة الحديد : آية ٣] .

وإن زعموا أنها كانت ، وليس فيها ذلك الذى فى النفس ، وأن ذلك محدث .

حجدوا أن يكون علما لم يزل .

*** معانى النفس فى اللغة العربية :**

واعلم أن للنفس فى لغة العرب معانى ، منها مايجوز على الله ، عز وجل ، ومنها

مالا يجوز عليه :

١ - فمعنى النفس التى هى الروح ، وماذكر الله من قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ

زُوِّجَتْ ﴾ (٧) [سورة التكاوير : آية ٧] فهذه النفوس ، هى أجزاء الإنسان ، التى هى

أرواحهم ، وقد قيل فى اللغة : ذكر هذه النفس ، فاضت نفس فلان . يعنون خرج

روحه ، وهذا المعنى عن الله ، عز وجل ، منفى .

٥٩ / ٢ - وقال الله ، عز وجل ، فى كتابه ، بذكر النفس ، بغير هذا المعنى

(١) زيادة من الهامش .

(٢) زيادة من الهامش .

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [سورة النساء : آية ١] يعنى من آدم عليه السلام فسماه نفساً ، ولم يرد به روحه ، وقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [سورة الفجر : آية ٢٧] يعنى يا أيها الإنسان ، ولم يرد النفس التى هى الروح فقط ، وإنما أراد الحى الذى هو الإنسان وكذلك قوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [سورة المدثر : آية ٣٨] أى : كل إنسان بما كسب رهيناً .

وقال : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى ﴾ [سورة الزمر : آية ٥٦] يعنى أن تقول للإنسان ، وقال : ﴿ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة : آية ٤٥] ، يريد الإنسان ، وقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨٥] يعنى : إن كل إنسان ميت .

والعرب قد تقول للشئ الذى لا روح له : بنفسه ، وكذلك تقول للشئ الذى لا روح له ولا شخص : هذا نفسُ كلامك ، وهذا النون بنفسه .
وقال الشاعر :

قالت له النفس : إني لا أرى طمعاً وإن مولاك لم يسلم ويصدُّ

وقال آخر :

وهل نحن إلا أنفساً مُستعارة تمرُّ بها الروحات والغدوات

يعنى هل نحن إلا أناس مستعارون ، ولو أراد بذكر النفس ، معنى الروح ، لما جاز أن يسمى كله نفساً . . . لأنه بدنٌ ونفسٌ

وقال آخر :

وقد وفدت إليك بذاتِ نفسى قصائدُ يعترفن بما تشاءُ

يعنى بذاتِ نفسى ، أى بى كما أنا ، كما قيل فى اللغة : جئتكَ بنفسى ، ولم يردوا بقولهم معنى ثانياً هو غير جئتكَ . . لأنه إذا قيل : جئتكَ . دل على الجائى تماماً . ولما قال : بنفسى . لم يرد معنى ثانياً هو غير (المعنى الذى هو) (١)

جئتكَ .

قال آخر :

وما لام نفسى مثلها لى لائم

قال الله ، عز وجل : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٦١] يعنى : نحن وأنتم .

وقال تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٢٨] فالمحذر هو المحذر منه .
يعنى : يحذركم الله ، أى : يقربكم .

كما قال : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٢] وليس الكاتب غير المكتوب عليه .

* * *

الرد على من زعم أن الله نور كالأنوار المخلوقة

إن بعض الملحدين توهم أن الله ، عز وجل ، نور كالأنوار المنبسطة ، وتوهم آخرون منهم أنه نور كالأنوار الكثيفة السائرة ، تعالى الله ، عن ذلك علواً كبيراً .

وقد رأينا مثل المعنيين ، الذين توهموا ، من النور المنبسط ، والنور الكثيف السائر .

فأما النور الكثيف السائر ، فالبدر إذا قهر وكشف ستر السماء عن أبصارنا بقدر استدارته ، ورأينا قوص الشمس كثيفاً سائراً ، يستر الأبصار من السماء بقدر استدارته .

فأما النور المنبسط الذى تنفذه الأبصار ، فقد رأينا من ذلك ضوء النهار ، ونور القمر وشعاع الشمس يدخل من الكوة ، فلا تستر أبصارنا ؛ لانبساطها ، ولا يكون ذلك سائراً لأبصارنا عما خلفه ، وأعلام العبودية فى هذه الأنوار التى ذكرنا كلها بيئةً ، وذلك ، لأن النور الكثيف السائر ضعيف ، لا يقدر على الزيادة فى نفسه ، ولا الانتقاص لها ، ولا يقدر على الامتناع من العيون أن تدركها ، فالضعف لكل ما ذكرنا ، لازم .

وكذلك الضعفُ بينُ فى الأنوار المنبسطة ، إذ لم يحجب الأبصار عن نفاذها ^(١) ومجاورتها إلى ما خلفها ، فالضعف ، لكل ما ذكرنا ، لازم ، والله متعالى عن ههنا / هذه المعانى ، أن يكون بشى منها موصوفاً ؛ لأنها مخلوقةٌ ، وكل ما أشبه المخلوق ، فهو مخلوق ، وليس الخالق للشيء كالمخلوق ، فى جميع المعانى كلها .

• معانى النور فى القرآن واللغة :

وعلم أن النور له فى الكتاب وفى اللغة معان يجرى على الله بعضها ، فالذى يجرى عليه منها : هو ما قال الله فى كتابه : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة النور : آية ٣٥] ، يعنى الله ينير لعباده دلائله ، التى يهتدون إليها بها ؛ لأن يعرفوه بما أبان ، ويعلمون

(١) فى الأصل : نفذا .

أنه الحق بآياته المنيرة ، وأن يميزوا بها بين الخالق وخلقه ، والله نور الأنوار ، وهو منير بما نوره من دلائله ، فهو نورها ، لأنه أضاء لنا الأشياء ، وأبانها وجلى عنها ظلمة الشبهة ، فزال عنها الشكوك والريب ، بتجليتها للعقول ، إنه الحق المبين ، وإنه نور كل شئ ، وليس كمثله شئ وكذلك أمرنا أن نصفه ، وبذلك دلنا على نفسه ، من غير أن نجاهره لله ، فتدركه الأبصار .

فاستنار لنا بتدبيره ، من غير مشاهدة ^(١) مثاله . ولا إحاطة به ، ولا إدراك من حواسنا له ، فهو نور السموات والأرض ، ونور من فيهما ، للمعنى ^(٢) الذى ذكرنا ، أن الحق من عنده ، وأن العباد به استناروا ، وبه استضاءوا ، وبه أبصروا إذ استضاء لهم ، سبحانه ، بنوره ، الذى عاينوا من خلق أنفسهم ، وتدبيره فى ملكوت السموات والأرض .

ومن لطائف الآيات التى لا يكون معها ريب ، ولا تدانيها الشكوك ، ولا تعثرها الفترات ، ولا يكون معها الغفلات ، فرأوا ربهم بتدبيره ونوره وعلامته ، لا بمجاهرة منهم له ، ولا بالمشاهدة والملاقاة ، تقدس الله عن ذلك وجل جلالاً عظيماً .

وكذلك الله نور السموات والأرض ومن فيها ، لأن عبادته ^(٣) الذين هم سكان أرضه ، استناروا وعلموه ، بما عاينوه من نوره ، إذ دبر الأرض ، وخلق فيها مابه أنار لهم ، أنه الله ، سبحانه ، فاستنار نوره ، بغير تحديد ، وعرفوه من غير تخيل ، ووجدوه معروفاً بغير تشبيه ، بل عرفوا الله بعجيب آياته وبآثر دلالته .

❖ ومعنى آخر من تأويل قوله «نور» قد علم العالمين أن الأشياء تدرك بحقائقها ، وتعلم بالاستيقان ، وإن كانت غائبة .

فالله يعلم ويعرف ، ويميز بين ما يدرك بالمجاهرة وبين ما لا يدرك بها ، كالخشونة واللين ، والحمرة والبياض . وما لا يدرك بالمجاهرة بالسمع والبصر والعقل ، والرى والظما والشبع والشغب ، وما أشبه ذلك مما غيب من حواسنا ، وإن كنا قد أدركناه ، بعلمنا بما صرفنا منه ربنا ، فيما أخبرنا ، عما غاب عنا من ملكوته .

(١) فى الأصل : مشاهد .

(٢) فى الأصل : لمعنى .

واعلموا أن الله ، سبحانه ، وصف الآية التي هي «نور» ، مخبراً لعباده أن ^(١) الله ، سبحانه ، لم يرد نفسه ، بقوله ﴿ كَمْشَكَاةٌ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ ولم يمثل بالقنديل نفسه ، ولا بالمصباح ، تعالى عن ذلك .

وأي فضل في القنديل ، بل ليس في النجم الذي هو الزهرة ؟! ..

٦٠ و / أي مثل ^(٢) نفسه بالقنديل ويترك ما هو أنور من القنديل وأحسن ؟! .. بل

أي فضل في القنديل ، وهو يتعالى عن الزهرة ودُرُ الجنان ؟! ..

بل كيف يضرب الله ، لنفسه أمثالاً مفضولةً ، دون الفاضلة ؟! ..

تعالى عن التمثيل والاشباه وتقديس عن ذلك .

لكن الله ، سبحانه ، نور السموات والأرض ، بما أبان لهم عن نفسه بخلقه لهم ، وبماله فيهم من التدبير ، الدال عليه ، فاستضاء عباده به بما أضاء لهم نفسه ، بخلقه لهم

فلم يضل في مضلات الشبهة ، من استضاء بربه ، واستنار به ، فبانَت الأعلام الهادية ، لمن استنار بها عن ربها ، فبان الله بها لمن استنار بها ، وكان الله نور إذ ^(٣) اهتدى به ، وأحيا لنا القلوب ، بعد موتها بنوره ، إذ أنار لها ، فاهتدينا ^(٤) بها إليه .

• ومعنى آخر من معاني النور ، وهو مما لا يجوز على الله ، وهو ما ذكرنا من معنى الشمس السائرة ، وشعاعها المنبسط ، الذي ليس بسائر .

• ومعنى من معاني النور ، وهو النيران الكثيفة ، وهي في معاني قرص الشمس والقمر .

• ومعنى من معاني النور ، وهو الإيمان ، لأن الإيمان نور ، وكذلك القرآن نور ، وقد سَمَى القمرُ نوراً ، والشمس سراجاً ، والإيمان نوراً ، وقال : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [سورة الاحزاب : آية ٤٣] ، فهذه المعاني من الأنوار ، التي ذكرنا ، مميزة للعقول ، إذا

(٣) في الأصل : إذا .

(١) في الأصل : لأن عباده .

(٤) في الأصل : إهتدينا .

(٢) في الأصل : يمثل .

مانظروا إليها بها ، فاجروا على الله منها ، مايجوز عليه ، وماجرى على العباد منها ، فعنه ، عز وجل ، نزهوا الله ، ولم ينسبوا إليه .. ١١ .

وأما تاويل : ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ فقد يجوز أن يكون عنى بذلك القرآن ، فى غياهب الوسوس نيراً مضيئاً ، وبه يبطل كيد إبليس اللعين ، وتوهمه وخدعهُ .

- فالقرآن فى هذه الأماكن الموحشة ، كالمشكاة التى هى الكوة ، والمصباح فيها .

- والمصباح فى القنديل ، ينير لما حوله ، ويضئ لمن دنا به .

* وقد يجوز أن يكون الله بقوله مثل نور النبى ، ﷺ ، كهذا المعنى الذى وصفنا به القرآن ، والمعنى أن النبى ﷺ ، أضاء لنفسه بنبوته ورسالة ربه ، وأضاء لمن دنا منه ، وأسمع به فى الأخبار .

* وقد يتجه أن يكون الله ، أراد به قلب المؤمن أيضاً ، والإيمان الذى فيه ، فمثل قلب المؤمن ، وكون الإيمان فيه ، مثل القنديل فى المشكاة ، فالإيمان يضيئ للمؤمن ، عن كل ظلمة ، كما أن القنديل يضيئ فى الكوة ، وتضمحل به الغياهب المدلهفات من الريب .

والإيمان يتوقد ، ويضيئ الحكمة توقداً ، يظهر شعاع الحكمة ونورها ، فى كلامه وفعاله وعلى جوارحه ، وهو بعلمه بربه ، علمه له نورٌ على نور .

* واعلم أنه قد يجوز أن يكون معنى قوله ، « نورٌ على نور » أى نور مع نور ؛ لأن كلامه نورٌ مع عمله ، وعمله مع علمه ، فهذا نورٌ ، أى مع نورٍ ، يهدى الله لنوره ، من يشاء لا من يشاء غيره يهدى ، ولو كانت البرية كلها ، لمن لا يريد هدايته ظهيراً ، لما اهتدى المرؤ أدنى فى الهداية ، إلا أن يشاء الله .

٦٠ ظ / * وقد يتجه أن يكون الله ، سبحانه ، شبه نبيه ، ﷺ ، كما شبه القرآن والإيمان ، بالمعنى الذى وصفناه .

ومعنى القول : ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ﴾ فهذه شجرة منبتها فى مكانٍ ، مطلع الشمس عليه ، ولا تنزل عنها ، حتى تغيب ، وهى الشمس

الصاوحية^(١) ، وهو أنضج لثمرها ، تكاد ترى في الزيتونة ، التي ثمرها ، وجهك ، من ودكها ، (و) من^(٢) نقائه وصفائه ، فإذا أوقد القنديل ، من زيت هذه الزيتونة ، كان أنور للمصباح .

وهذه أمثال ضربها الله للناس ، لعلهم يتفكرون .

* وقال بعضهم : إن معنى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) ، إنه محمد ﷺ ، يصلى لا للمشرق ولا للمغرب ، ولكن لكعبة الله البيت الحرام .

* * *

(١) جاء في القاموس : تصوح النبت : يبس وتشقق ، وانصاح الفجر أو البرق أو القمر : اضاء ، وعلى هذا ، فالشمس

الصاوحية : أى المضيئة ، انظر المعجم الوسيط : ج ١ / ٥٣٠ ، مادة : « صوح » .

(٢) فى الاصل : من .

الرد على من أنكر من الجهمية أن يكون الله شيئاً

الحمد لله ، الذى علا الخلائق ، فلم تغب عنه خفيات الأمور ، وكل شئ عنده بمقدار ، المنشئ لما شاء أنشاء ، فشيئاً ^(١) شيئاً ، كما شاء ، وجعله متناهياً محدوداً .

أثار الصنعة له لازمة ، وأعلام العبودية فيه مبيّنة ، فأنشأ ما أنشأ نحوين : أحدهما مبتدأ لا من شئ ، والثانى : (منقول) ^(٢) من شئ إلى شئ ، ومحول من حال إلى حال ، ومن طبيعة ، إلى طبيعة كالمضغة تقلب من نطفة إلى علقة ، والعلقة حوّلت مضغة ، ثم جسدها لحماً ، وأنشأها إنشأ ، فصيره بشراً ، مخالفاً للبهائم ، فى الشكل والهيئة ، احتجاجاً من الله على خلقه ، بما أراهم من آياته فيهم .

وأن الله ، تبارك وتعالى ، وسم المعانى بأن قال : هى شئ ؛ لإخراجه لها ، من العدم إلى الوجود ؛ لأنه أخبرنا أنه خالق كل شئ ، فكل شئ سواه ، هو خلق (و) ^(٣) شئ ، وكل خلق شئ ، فقد خلق النار والثلج ، فالثلج شئ ، والنار شئ ، وليس أحدهما بالآخر شبيهاً فى لون ولا طبيعة ولا فعل ، وإنما تماثلاً فى السببية ، وقد اختلفا فى الصفات .

وإنما سميت الأشياء ، بأن قيل : كهذا شئ ، وهذا شئ ، لإثبات الأشياء بأنها موجودة ، وأنها ليست بعدم .

وقد قال الله فى كتابه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القمر : آية ٢٨] وذلك دليل على أن الله شئ ، لا كالأشياء ، إذ الأشياء تهلك ، وهو المهلك لما يشاء منها .

(١) الشئ اسم لما يصح أن يعلم أو يحكم عليه ، أو يخبر عنه ، والظاهر أنه مصدر بمعنى اسم المفعول من شاء ، أى الأمر المشئ ، أو المراد الذى يتعلق به القصد . وهو أعم من أن يكون بالفعل أو بالإمكان ، فيتناول الواجب والممكن والمنتهى .

والشئ مرادف للموجود ، حسيّاً كان أو ذهنيّاً ، والدليل على ذلك أن أهل اللغة يطلقون لفظ الشئ على الموجود ، فإذا قلت لهم : الموجود شئ ، تلقوه بالقبول . والدليل على ذلك أيضاً أن الفلاسفة ، لا يفرقون بين الشئ والموجود . انظر : المعجم الفلسفى : ج ١ / ٧١٢ ، ٧١٣ .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

وقد قال الله فى كتابه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٩] فأخبر أنه شئٌ أكبر (من) ^(١) الأشياء .

ولو قال قائل : أى الملائكة أفضل ؟ .. لم يجز أن يقال : بعض المؤمنين من الآدميين هو أفضل ! .. لأن الآدميين ليسوا ممن ذكرنا فى المسألة .
كذلك لما قال : أى شئ أكبر شهادة ، علمنا أنه أجرى على نفسه الذكر ، بأنه شئ ليس كالأشياء .

فإن سأل ، من الجهمية ، سائل فقال : هل الله شئٌ ؟
قيل له : نعم ، الله شئٌ لا يشبه الأشياء ؛ لأن الأشياء مُشَاءةٌ ، والله ، سبحانه ، شئٌ لا مُشَاءةً .

فإن قال : أنت شئٌ ؟ .
قيل له : نعم ، أنا شئٌ مشيئٌ ، لا أنى شئٌ غير مشيئٌ ، والله شئٌ لا مُشَاءةً ، بل الله مُشيئُ الأشياء ، لا يشبهه مما شئاً ، شيئاً .
وليس فى قولى : أنا شئٌ ، والله شئٌ ، تشبيهٌ ، لما فصلناه من معنى المشيئ والمشيئ .

ولأن قولى أيضاً : شئٌ ، اسمٌ لازم للجميع ، وجارٍ على كل معنى ، وثابتٌ على ٦١ و / كل موجودٍ مشيئٍ ، كان أو يكون .

ولا يُقضى بإيقاعه على المسميين مفرداً ائتلافٌ ولا اختلافٌ ؛ وذلك لأنك تقول : الفيل شئٌ ، والذرة شئٌ ، وهما غير مشتبهين فى قولك ، هذا شئٌ وهذا شئٌ .

وكذلك تقول للإنسان : شئٌ ، وللشيطان : شئٌ ، وهما لا يتمثلان ، وقد أوقعت على كل واحدٍ منهما أنه شئٌ .

وكذلك تقول : آدم ، صلى الله عليه ، شئٌ ، وربنا ، تبارك وتعالى ، شئٌ ، وهما غير متمثلين .

(١) زيادة ليست فى الاصل .

(٢) فى الاصل : لا مشيئاً .

فإن قال : أليس آدم ، مخلوقاً ، والذرة مخلوقة .

قيل : بلى .

فإن قال : هل يتماثلان في أنهما خلق لله ؟!

قيل له : نعم .

فإن قال : ما فرق بين شئ وشئ ، وخلق وخلق .

قيل له : إن الخلق اسم له خلاف ، وخلافه خالق .

ولو قال قائل : الخالق مخلوق . كذب .

ولو قال القائل : الخالق شئ . لم يكذب .

والخالق ، هو خلاف المخلوق ، ولا يوجد لشئ خلاف ، إلا شئ مثله موجود ، ولا شئ إلا موجود لا يكون لاخلاف ، ولا يكون خلافاً .

فإن قال قائل : أن لا شئ ، خلاف شئ .

قيل له : قد انبانك أن الشئ خلاف شئ ، (و) ^(١) لا يكون لا شئ له خلاف ، ولا يجوز أن يقال : اللاشئ اتفاق ، ولاختلاف ؛ لأن هذا عدم ، ولا يتوهم .

فإن قالوا : لم اجزت أن تقول شئ وشئ ، وهما لا يشتبهان ؟!

قيل له : من قبل أنى ثبتهما ، ونفيت عنهما العدم ، وأخرجتهما من التعطيل .

فإن قال : لم قلت : لا شئ ، لنفى إثباته ، وقلت : لا شئ ، من الوجود ؟! . . .
وليس قولى هذا شئ ولا شئ تشبيه ، ولا غير تشبيه .

وقول القائل : هذا شئ . وهذا شئ ، لا يجب به تشبيه ؛ لأن التشبيه ^(٢) لا يجوز إلا على ضدٍ ومثل ، واعلم أن الضد ^(٣) هو غير الخلاف ^(٤) .

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) التشبيه تصور الله فى ذاته ، أو فى صفاته على مثال الإنسان ، ويقابله التنزيه .

(٣) الضد : هو المخالف والمنافى ، ويطلق على كل موجود فى الخارج مساوٍ فى قوته لموجود آخر ممانع له ، أو على موجود

مشارك لموجود آخر فى الموضوع معاقب له ، بحيث إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به ، لذلك قيل : إن الضدين

صفتان مختلفتان تتعاقبان على موضوع واحد ، ولا تجتمعان ، كالسواد والبياض ، والتهور والجبن .

وبيان ذلك أن كل ضدٍ خلاف ، وليس كلا خلافٍ ضدٌ ، والضد هو المضادُ والخلاف هو الغيرُ الذي ليس بمضادٍ ، وذلك أنك تقول : هذا خلافُ الله . ولا تقول : هذا ضدُ الله .

فإن قال قائل : ما بالك إذا قلت : لا شيء . لا يقع اتفاقٌ ولا اختلافٌ^(١) .

قيل له : من قبل أن لا شيءٌ عدمٌ^(٢) ، وليس بوجود ولا هو موهوم ، ما هو ، فيكون له شبهه ، والشئُ إثباتٌ ووجودٌ وموهومٌ ، إذا قلتَ شئٌ ما هو ، وأى الأشياء هو ، إلا ربُّ العالمين فإنه شئٌ ، خالقُ الأشياء ، وليس كالأشياء .

وإنما قلت : إنه شئٌ لا نثبتُه موجوداً .

وقولى : شئٌ . ليس فيه تشبيهٌ ؛ لأننى إنما أشيأه بقولى شئٌ ، وقد يشته قول شئٍ وشئٍ ، ولا يشتهب المسمى إلا أن أوقع عليه ، من أى الأشياء هو وما هو ومما هو .

فحينئذ يشتهب المسميات ، فأما شئٍ وشئٍ ، فليس فيه اشتباه المعانى . وإن استوى قول شئٍ وشئٍ .

وقد يقال : الخنزيرُ شئٌ ، والكلبُ شئٌ ، والإنسانُ شئٌ ، وليس هذا الاسمُ الذى هو إثباتُ الشئِ منهم ، مدحٌ ولا تهجين ، (إذ)^(٣) كانت التسميةُ مبهمَةً مفردةً فى الذكر ؛ ولذلك لم يقع به شبهٌ ، إذا قلنا : إن الله شئٌ ، والإنسانُ شئٌ .

فإن قال : فإذا سميتَ الله شيئاً فقد سميته بما لا مدحةَ له فيه .

قلتُ : إنى إذا سميتُهُ ، شيئاً ذكرتهُ ، سبحانه ، بكلامٍ آخرَ صلةً به ، فيكون مديحاً ، لقولنا : الله شئٌ واحدٌ كريمٌ ، والله شئٌ واحدٌ عزيزٌ ، والله شئٍ ليس كالأشياء ، فيكون ذلك مدحةً ، ولا يذكره العبدُ التقى^(٤) ، إلا وهو فيما ذكر من أسمائه ، مادحٌ .

= (٤) الخلاف منازعة تجرى بين المتعارضين ، لتحقيق حق أو لإبطال باطل «المرجاني : التعريفات ، ص ١١٣ .

(١) العدم ضد الوجود ، وهو مطلق أو إضافي ، فالعدم المطلق هو الذى لا يضاف إلى شئ ، والعدم الإضافي ، أو المقيد ، هو المضاف إلى شئ .

(٢) فى الأصل : إذا .

(٣) فى الأصل : ولا يدكروا العبد النفى .

٦١ ظ / فإذا سمي الله العبدُ بأنه شيء ، لم يفرد ، حتى يقول : الله شيء لا كالأشياء ، فيكون ، الكلام كله مقرونًا بكلام آخر ، على ما ذكرنا ، كان كلُّ مديحاً .

وقول القائل : هذا شيء ، كلامٌ ^(١) "مرسل" ، غير مقرون بما يتحلى به المعنى ، فليس بدم ولا ممدح ، كقولك : عرفتُ شيئاً ، ولا يكون المعروف عندك مذموماً ولا ممدوحاً حتى تقرنه بكلام آخر ، فتقول : عرفتُه شيئاً ، هو صالحٌ ، أو عرفت شيئاً ، هو فاسدٌ .

فيكون هنالك الذم والمدح ، فلا يدرك بقولك هذا شيءٌ ، وهذا شيءٌ ، ائتلاف ، ولا اختلافٌ ، فلا يرسلُ القولُ على الله ، بأنه شيءٌ ، إلا مقرونًا بكلام آخر (يصل به لإثباته ، والخبر بالصفة التي هي له) ^(٢) .

فنقول : هو شيء ليس كالأشياء ، فيكون قولك : هو شيء ، بالصلة المقرونة مديحاً ، فكذلك يقولُ القائل : هذا الثوبُ شيءٌ ، فلا يكون مادحاً ، حتى يقول بعد الثوب : شيءٌ حسنٌ أفضلُ من غيره ، فيكون بما أجرى الثوبَ مادحاً ، وإذا كان مرسلًا ، لم يكن له مدحاً ولا ذمًا .

(١) في الاصل : وكلامٌ .

(٢) زيادة وتكملة بالهامش .

(٣) اثار المتكلمون هذا الموضوع ، واختلفوا فيه ، بين مثبت ومنكر ، ومن أنكر أراد التنزيه ، وعدم إطلاق اسم على الله ليس من أسمائه الحسنی ، ومن أثبت قصد بالإثبات تحقيق الوجود ، ولذلك يمكن تحقيق المسألة في ان الجميع قصد مخالفة غير المسلمين في تصورهم للالهية ، انظر في ذلك ، شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، ص ١٧٥ ، والهدية ، لمبد العزيز الكتاني ، ص ١٦ .

الرد على من أنكر أن يكون الله واحداً ليس بنى أبعاد

الحمد لله ، الذى عن شبه كل شئ تعالى ، وشاهد كل ملا ، وهو فى السموات العلا ، وعلى العرش استوى ، ولا تخفى عليه النجوى ، وهو يرى ولا يرى ، سبحانه ، فليس عليه شئ يخفى ، وليس كمثله شئ ، وهو الواحد الصمد البارئ للصور ، وليس بصورة ، بل هو مصور الصورة ، وهو السميع العليم .

معانى الواحد فى اللغة :

قال الله عز وجل فى كتابه : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٩] ، يخبر بوحديته فى أي كثير^(١) ، والواحد فى اللغة له معان^(٢) :

١- أحدها : البائن بالفضل والسؤدد .

٢- ومعنى آخر ؛ يقول الناس : هذا شئ واحد ، ليس له نظير فى الشبه ، ويقال : هذا وهذا واحد ، يراد أنهما متماثلان^(٣) .

وقد يقول المرء : قولى وقولك واحد ، أى مثله .

ويقال : لاقل قليلاً (فى) ^(٤) القلة : هذا شئ واحد ، يراد ثباته ، وتعطيل الثانى ، بمعنى ليس له نظير ولا شبيه ، بمعنى أنه ليس فيه اختلاف .

وهذا معنى قولنا : الله واحد ، ليس من عدد ولا هو عدد ، كما الإنسان واحد وعدد ، كما أن الإنسان أعضاء ، وكل عضو ، يقال إنه واحد ، فإذا اجتمعت الأعضاء قيل : هذا واحد ، فهو واحد عدد أحاد ، وهو من عدد أحاد مثله ؛ لأنك تقول : هذا إنسان واحد ، وتقول للآخر : واحد فصاعداً ، فكل واحد منهما ، واحد من عدد ، وليس الله ، سبحانه ، واحداً من عدد ، على معنى ما ذكرنا ، من معنى الواحد من غيره .

(١) من ذلك قوله تعالى ، ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية ١٦٣] وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الانعام الآية ١٩] ، وقوله : ﴿ لِّلَّهِمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لِّلَّهِ اسْلِمُوا ﴾ [الحج آية ٣٤] ، وقد احصيت هذه المادة فى المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم فوجدتها ثنتين وثلاثين مرة ، منها ثلاثون مرة تدل على الله الواحد الاحد .

(٢) انظر المعجم الوسيط ج ١ / ١٠٢٧ ، مادة : واحد ؛ ، والمبين للامدى ١ ص ١١٤ ، والتحبير للفشيرى ١ ص ١٢٣ .

(٣) انظر المعجم الفلسفى لجميل صليبا ، ج ١ / ٣٣٨ .

(٤) زيادة لمست فى الاصل .

وقد قالت العرب : إن فلانا واحدٌ قومِه ، أى سيدهم ، وهو واحدُ القوم ، وإن كان له الاتباع والعبيدُ والأموال .

ويقال : إن فلانا واحدُ الناس ، أى ليس له نظير ، يعنون فى السؤددِ والكرم .

واعلم أن الله واحدٌ فى الربوبية والعز والكبرياء ، واحدٌ بنفسه لا بغيره ، وهو واحدٌ لا ثانى معه ، ولا مثل له ، فى صفةٍ ، ولا فى ذاتٍ ، ولا فى قولٍ ، ولا فى فعلٍ ، ولا فى معنىٍ من المعانى كلها ، ولا له مثلٌ فى صفةٍ ، ولا معنىٍ شرفٍ وفضلٍ ، ولا يزول عنه هذا المعنى ، الذى هو شرفٌ فى كل معنىٍ ، إذ لا شئٌ ٦٢ و / يشبهه ، ولا هو يشبه شيئاً ، ولوجاز أن يكون له مثلٌ فى معناً ، وكان ذلك يكون شرفاً ، لجاز أن يكون مثل غيره بكل معنىٍ ، ويكون ذلك له شرفاً ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

* ومعنى من معانى الواحدِ ، هو الأولُ الفرد ، ذلك فى الحساب والعدد بينٌ ، إذ لا يكون العدد إلا به ؛ لأنك تقول واحدٌ واثنان ، فالثانى بالواحد كان ، ولولا الواحدُ الذى هو أولُ الثانى ، ما كان الثانى قبل ، (و) الأول كان واحداً أكثر العدد الذى لا يُحصى ، وهو المكثّر لكل معدودٍ .

العدد الواحد يستزيد به ، (و) يزداد (و) لولا هو ما كانت الزيادة ، وكل ما زاد (فى) الحساب فبالواحد زاد ، والواحد هو المفرد لما سواه ، وهو أقدم من كل ما به ازداد ، وكثرة العدد يزداد به ، وينقص به ، فالواحد الذى يزداد العدد ، وهو مقيم لكثرته ، وبه يكون النقصان ، وبه استوى الحساب ، وبه يقل الكثير ، ويكثر القليل ، ويفرق بين الكثير والقليل .

فكذلك يقال : الله واحدٌ ، (و) المعنى أول الأشياء ، وبه كان كل شئ ، وهو مشيئها ، ومدبرها بنفسه ، لا بغيره ، ولا يتغير لتكثيرها ، ولا لتقليلها ، ولا عند بطلانها ، ولا يختلف ، سبحانه ، عند شئ من اختلافها ، وهو ، سبحانه ، القائم بإنشائها ، لا يتغير ولا يدخل فى التغيير ، بل التغيير داخل على كل ما أنشأ ، ولم يزل الله قبل أن يكون الشئ شيئاً ، ثم إن أراد إنشاء ما أنشأ ، فأنشأ ما أراد إنشاءه على ما شاء ، واضطر المنشأ إلى التغيير والزوال ، والخطوط ، والنقص والنماء .

والله سبحانه واحد فى معناه ، لا فى معانى ما أنشأه ، وهو الواحد لا من عددٍ ، ولا

فيه عددٌ ، به تجزأ ، وليس شئٌ يقال إنه واحد في الحقيقة ، غير الله ، وكل واحد سوى الله ، فهو ذو عدد مجزأ ، ومن عدد ، وذلك لأنك تقول للواحد من الخلق ، أنه له فوقٌ وتحتٌ ، وامامٌ وخلف ، وشمالٌ ويمين ، وكل واحد مما ذكرنا غير الآخر ، فهذا غير واحد ، مما يضمه اسم الواحد ، وهذا الواحد هو العدد ، من عدد كثير ، من اللون ، وغير ذلك ، وهو من عدد له أشباه .

والله واحد ، ليس لشئ ، من هذه المعاني المنقوصة ، شبيهاً ؛ لأنه ليس له نظير .
فإن قال قائل : لم لا يكون قولك : واحد . تشبيهاً ، وقد قلت لغير الله :
 واحد ١٩

قيل له : إنا لم نقل لغير الله واحد ، المعنى ما قلت ، أن الله واحد وليس واحد كالله في ربوبيته وواحديته ، وليس من هو أحد في الحقيقة ، ليس بجزء ، ولا باثنين سوى الله ، وكل ما سوى الله ، فقد يقال واحد ، وهو أكثر من اثنين ، إذا حدد على وجه ما فسرنا من الحدود التي تلزم الخلائق ، وذلك لأن كل واحد مما سوى الله ، فمفسد ، وهو أكثر من اثنين ، وإن قيل إنه واحد على ما ذكرنا ، فليس الله بواحد كعمى الآحاد المعدودة وإنما هو إله واحد ، ليس له ند ولا شبيه ، تعالى عما يقول المشبهون علواً كبيراً .

* ومعنى من معانى الواحد ، إذا أرادوا به دفع الاختلاف ، وحذف الجميع ،
 كما قال الكميت بن زيد الأسدي (١) :
 فضم قواصي الأحياء منهم فقد رجعوا كحى وحدانيها (٢)

فإن قال قائل أرايت إذا قلت : إن الواحد من الحساب في جميع العدد . فكذلك نقول : الله في كل شئ .

(١) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، أبو المستهل : شاعر الهاشميين . من أهل الكوفة . اشتهر في العصر الأموي . وكان عالماً بأدب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها ، ثقة في علمه ، منحازاً إلى بني هاشم ، كثير المدح لهم ، متعصباً للمضربة على القحطانية . وهو من أصحاب الملحمة أشهر شعره الهاشميات - ط ، ، وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين ، انظر : ترجمته في الاعلام للزركلي ج ٥ / ٢٣٣ ، وكذلك الأغاني : ١٥ / ١٠٨ ، وجمهرة أشعار العرب : ص ١٨٧ ، والشعر والشعراء / ٥٦٢ ، ٥٦٦ .

(٢) انظر ديوانه ٢ / ١٢ ، ومعاني القرآن ٢ / ٢٨٠ ، والتهذيب ٥ / ١٩٦ ، وابهضاح الشواهد للقيسي ١ / ٤٣٢ .

قيل له : إن الله ، تبارك وتعالى ، فى كل شئ مدبره ، لا محوى ، وهو مع كل ٦٢ ظ / شئ رقيب ، لا يحاط به ، ليس هو فى شئ من الأشياء . بمعنى كون الشئ فى الشئ ، ولا الشئ مع الشئ ، كما قال الله فى الأشياء ، ومع الأشياء ، على غير الإحاطة ، ولا يعزبُ الله فيها ، ولا هى تعزب عن الله وذلك لأن ما كان فى فعله لم يقطعه .

* تفسير كونه تعالى فى كل مكان :

فالعرب تقول : إنه فى فعله ، كذلك الأشياء ، فعل الله ، ولم يقطع تدبيره منها ، فلذلك قلنا : إن الله بكل مكان ، فهو فى كل شئ ، ليس بغائب عن شئ ، وقد حقق الله مقالتنا فى كتابه ، بقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ [سورة الاعراف : آية ٧] وقوله : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : آية ٤٦] ، وكذلك : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] .

* مثال بالقياس على الم رابط المصلى القائم :

الم تر إلى المرء ، يصبح صائماً ، ثم يقوم مصلياً ، وهو فى ثغر ، فيقال : إن فلانا فى صلاته ، وصيامه ورباطه !

ويقال له ، فى حالة أقل قليل ، كونه فى أفعاله ، وأفعاله أفعالٌ مختلفة ، بعضها غير بعض ، ليس فعل يشغله عن الفعل الآخر ، وهو فى الوقت الذى هو فى هذا الفعل ، فاعلٌ للفعل الآخر ، وليس فعله له بحاوي ، ولا فعله أيضاً فيه محوى ، فالله أقرب من الأشياء من الشئ إلى نفسه ، وهو بكل شئ أنظر والطف .

فإن مجن السائل من أهل التشبيه ، وذكر الأكبال والقيود ، وقال : هل الله فيها ؟

* حرمه ذكر الله وتقديسه :

قيل له : تقدس الله وجل ، أن نذكره بكلام فيه تهجن ، ولا يجوز أن نذكر أن الله فى شئ ذكره ، تصغير بالذكور ، من أجل أن الله أخذ علينا فى ميثاق الكتاب ، أن لا نذكره إلا بالأسماء الحسنى ، ومن الأسماء الحسنى ، كل اسم لا يكون معناه عند السامع ، يحتمل التهجين .

وقول القائل ربه في السلاسل والكبول ، تصغير بذكر الله وتهجين ، تعالى الله وجل وارتفع عن ذلك ، وعن ان نذكره به ؛ لان المذكور بهذا ، مذكور بالإحاطة والقلّة ، والله عن ذلك يتعالى ، وإذا ذكر الرب بالاسم العام ، كان له تعظيماً ، وإذا ذكر بالاسم الخاص ، كان له تهجيناً ، ولا يعرف الرب من ذكره بهجنة .

وقد دللنا على معنى صحيح ، إذ قلنا : الله في الأشياء مثبتة .

وإن خصّ السائل ذكر شيء ، هو بالمذكور تصغير وتهجين ، ويذكر ما يكون حوا وإحاطة ، لم يجز الجواب فيه بنعم .

فإن سأل السائل : ما الله ، تبارك وتعالى ؟! .. إذ قلتم هو الواحد .

قلنا : معنى ^(١) إن الله واحد ، أى لا شيء واحد سواه ، إلا وله شبيه ، والله واحد لا شبيه له ^(٢) ، وهو يقيم الأشياء ، وهو القائم بها ، لا بغيره قامت الأشياء .

* نفى الأعضاء عن الله :

وليس الله بذي أعضاء ، بعضها لبعض مؤيد ، ولا ممسك ، بل الله واحد ، ليس سواه واحد في معناه وليس أحد سوى الله ، إلا وقيامه بغيره ، وذلك أن الحركة لا تقوم في وقتها ، إلا بمحرك .

كذلك الكون لا يقوم إلا بمكوّن ، والطول لا يقوم إلا بمطوّل ؛ لأن ما ذكرنا كلها أجزاء ، وإنما يقوم بعضها بعضاً ، ولا يكون الجميع إلا باتصال الأبعاد ، ولما كان على الجميع الأجزاء ، جاز أن يكون مع الجميع ثانٍ ، وجاز أن يقال : هذا كان ، غير هذا .

* نفى الزمانية والمكانية عن الله :

وكذلك لا يقوم شيء ، مما ذكرنا ، من الخلق إلا في زمان ومكان ، والله القائم بنفسه ، لا تجرى عليه الأزمنة ، ولا تحويه الأمكنة .

(١) في الأصل : معنانا .

(٢) في الأصل : له له شبيه .

٦٣ و/ واعلم أن العددَ من الحساب ، أصله وجوب الغير ، ولا يقع الغير ، إلا على اثنين فصاعداً ، فإذا كان الاثنان جنسين مختلفين ، جاز أن يقال : هذا غير هذا .

فإن كانا مؤتلفين ، قيل : هذا وهذا واحدٌ ، وهذا واحدٌ ، وهذا واحدٌ ، وكان كل واحد منهما ، غير الآخر ، وقد يقال : للمؤتلفين ، اللذين هما واحد : إن أحدهما غير الآخر ، كعملي غير عملك ، وإذا كان عملهما دنيّاً قيل هذا وهذا واحد .

وكل ما ^(١) ذكرنا يحتملُ ^(٢) التضعيف والزيادة ، ويحتمل التضعيف أضعافاً ، وكلما احتملت الزيادة ، لم يكمل أبداً ، فقد يحتمل النقصان ، وكلما احتمل النقصان ، أمكن أن يبيد ، وهو أبداً منقوص من صفة الكامل ، والله واحد ، لا بهذا المعنى ، ولكنه واحد فى معناه الذى لا يشبه معانى البشر ، ولا الحساب ، وهو إسقاط الثانى ، وليس ثانٍ مع الله ، ولا واحد غيره ، فى معناه ، كهو ، وإثباته واحداً ، تعطيل الثانى ، وفى تعطيل الثانى ، توحيد الأول ، والواحد الباقي ، الذى ما سواه ثانٍ ^(٣) .

* * *

(١) فى الأصل : وكلما .

(٢) فى الأصل : تحمیل .

(٣) هذه الرسالة تعد من الرسائل الرائدة فى علم الكلام ، على طريقة الإسلاميين ، قبل اختلاط المنهج الإسلامى بالمنهج اليونانى ، ولذلك تعد رسالة أصيلة فى علم الكلام والرد على المخالفين من الملحدين وأصحاب الفلسفات الأخرى كالثنوية ، وسبق بها القاسم المتكلمين ورسم لهم الطريق ، قارن فى ذلك القاضى عبد (ت ٤ هـ) فى كتابه الكبير : شرح الأصول الخمسة ١ ص ٢٧٧ ، حيث يتكلم عن « نفى الثانى » .

الرد على من زعم أن لله وجهاً كوجه الإنسان

الحمد لله ، الذى كل شئ فان ، إلا وجهه ، الذى قامت سماواته وأرضه ، واستوى على عرشه ، فلا شئ فى استوائه يماثله ، لأنه عن شبه كل شئ تعالى ، وهو لكلنا شاهد ، ولنا بارئ ، وكلنا عليه لا يخض ، سامع النجوى ، والعالم بما فى الضمير ، وما مضى فى الضمير وأخفاه .

* تأويل الكتاب يعرفه الربانيون :

اعلموا رحمكم الله ، إن الله ، تبارك وتعالى ، أوحى إلى نبيه محمد ﷺ كلامه ، لسانا عربيا مبينا ، أوجز البلاغات ، وأنجزه بلغة أنجازاً ، وليس للاميين فى اللغة ، أن يتأولوا فى الكتاب ، ما يدركه المتأولون ، من ربانى اللغة والكتاب ، وقد علم ربانيو اللغة والكتاب ، أن لها تصارييف المذاهب ، وفنون الجهات ، وأنها ذات قيم وأمواج ، وإطناب ولطائف ، ودقائق فى بيان .

وأن فرقة من البدعية ، استعجمت فى كتاب الله ، وسارعت فى تأويله ، من غير فصاحة بالتأويل ، ولا فهم فى التنزيل ، ولا آلة فى العلم^(١) باللغات ، فتأولت بالعجمة ، إذ تأولته ، ولما سمعوا كلام الله وما فيه ، من قول المطعمين : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِهِ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩) [سورة الإنسان : آية ٩] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القمصر : آية ٨٨] ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧) [سورة الرحمن : الايتان ٢٦ - ٢٧] أن الله ، تعالى ، عز عن ذلك ، وجهاً كوجه الإنسان .

ونحن سائلوهم ، وبالله نستعين : ماذا أراد الله بقوله : ﴿ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧) [سورة الرحمن : الآية ٢٧] أشئ منه دون شئ ، أم هو الله ، تبارك وتعالى ، يبقى ؛ لأنه ليس بذى جوارح متفاوتة ؟!...

فإن رجعوا إلى النظر ، وتصفية الجواب ، علموا أن الله أراد بقوله : ﴿ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ [سورة الرحمن : الآية ٢٧] يعنى : يبقى ربك ، وأن كل شئ غيره فان ؛ لأن الله ليس مبعضاً ، يبقى وجهه^(٢) دون أبعاضه تعالى^(٣) الله عن ذلك علواً كبيراً ، عن

(١) فى الاصل : فى العالم .

(٢) فى الاصول : وجه .

(٣) تكررت فى الاصل .

التبعض^(١) ، فإن تقحم ذو خبرة ، غمرات الكفر ، وزعم أن له أبعاضاً أحدهما وجه .

قيل له : أخبرنا عن تلك^(٢) الأبعاض ، التي أحدها وجهه^(٣) أتفنى دون الوجه ؟
فإن زعم أنها تفنى دون الوجه ، صرح بشركه . وإن^(٤) زعم أن الأبعاض التي هي غير الوجه ، تبقى مع الوجه .

قيل له : من أين قلت : إن كلها تبقى ؟ .. وقد قال الله ، عز وجل ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ۖ ظ ٦٣ / هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، والأبعاض ، التي هي غير الوجه ، هي شيء وقد . قال الله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] !! .

ولن تجدوا حجة تدفعون بها الفناء عن الأبعاض ، التي هي سوى الوجه ، إلا أن ترجعوا إلى قولنا ، وقد قال الله في كتابه : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ ﴾ [سورة الروم : آية ٣٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُنْظِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [سورة الإنسان : آية ٩] فليس على الأوهام الطالبة إليه ، الحق في تأويل هذا متأولة^(٥) ، إذا نظرت بصافي عقلها ، استبان أن معنى قوله : ﴿ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم : آية ٣٩] أى : يريدون الله ، وثوابه .

وقوله : ﴿ نُنْظِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [سورة الإنسان : آية ٩] أى الله ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] .

* معاني الوجه في القرآن اللغة :

وللوجه في القرآن معانٍ وفي اللغة ، قال بعض العرب :
أعوذُ بوجه من تعنو الوجوه له بالله ليس له شبيه

ومعنى تعنو^(٦) الوجه : أى تستأسر النفوس ، وكل أمر أسير ، تريد أن لله مستأسر ، وإنما أراد بوجهه ذاته ، فلما قال : أعوذ بوجه من تعنو الوجه له ، ثم قال :

(١) فى الأصل : كبير عن التبعض .

(٢) فى الأصل : ذلك .

(٣) فى الأصل : وجه .

(٤) فى الأصل : فإن .

(٥) فى الأصل كلمة غير مؤوَّدة ، كتبت هكذا : ماويه .

(٦) انظر المعجم الوسيط ج ٢ / ٩٣٠ ، مادة : وعنا .

« بالله » ، علمنا أنه إنما استعاذ بالله في قوله : أعوذ بوجه من تعنوا ^(١) الوجوه له .
وقال آخر :

إني بوجه الله من شر البشر أعوذ من لم يعدد الله دمرت
وقال آخر :

إلهي لأرب لنا غير وجهه وليس له من صاحب لا ولاند
دليل على أنه أراد بذكره وجه الله : أي الله ، ولم يرد بذكره وجهه ، أنه بعض دون
أبعض ، لأن الله سبحانه ليس بذى أبعاد ، وقال ذو الرمة ^(٢) :

أَقَمْتُ لَهَا وَجْهَ الْمَطِيِّ فَمَا دَرَى أَجَائِرَةُ أَعْنَاقُهَا أَمْ قَوَاصِدُ ^(٣)
فجعل للمطى وجهاً ، وليس ذلك الوجه على ما يعقل من وجه الإنسان .
وقال آخر :

أعوذ بوجه الله من شر معقلٍ إذا معقول راح البقيع وهجرا
وهذا دليل على أنه استغاث بالله .

وقال آخر :

وتطلب المعروف من كل وجه تخطي إلى المعروف نحو ابن عامرٍ
ويقال في اللغة : أخبرنا بالخير على وجهه ، ولا يتوهم للخير وجهه ، على ما يعقل
من وجوه البشر !

وقال ؛ سبحانه : ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٨] أي : لكل قبلة ، وقال آخر في
تاويلها : ولكل ملة .

ويتناول بعض أهل العلم : ﴿ مَن قَبْلَ أَنْ نُنْظِمَ وَجُوهًا ﴾ [سورة النساء : آية ٤٧] أي ملة

(١) في الأصل : تعنوا .

(٢) هو عيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، أبو الحارث ، ولد ٧٧ هـ شاعر من محول الطبقة الثانية في عصره ، له ديوان شعر مطبوع ، وتوفي ١١٧ هـ بأصبهان . انظر الزركلي : الأعلام : ج ٥ / ١٢٤ .

(٣) البيت في ديوانه ٤ ص ١٤٧ ، بتحقيق زهير فتح الله . دار صادر بيروت ، ولكن براهية أخرى .

أقمت له صدر المطى ومادى أجائرة أعناقها أم قواصد

وهو من بحر الطويل .

ننسخهم ، يعنى أهل الملل ، وإنما صارت الملة وجهاً ؛ لأن صاحبها يتوجه إلى الرب بها .

وقال الشاعر :

دَرَسَتْ وَجُوهَهُمْ فَكَلَّ أَحَدٌ غير الطريق ولهم متحيراً

فهذا دليل على أن الله أراد بقوله : ﴿ مَنِ قَبْلَ أَنْ تُطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ [سورة النساء : آية ٤٧] أى مللاً .

وقال آخر :

أفحب وجوههم شتى فكلهم يرى لوجهته فضلاً على الملل

وقال عباس بن مرادس السلمى ^(١) :

٦٤ و / أقليم مالك كل يوم ظالماً والظلم أنكد وجهه ملعون

وقال الله ، عز وجل ، : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٢] أى : من أخلص دينه لله ، فجعل للدين وجهاً .

وقال الشاعر : ^(٢)

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقالاً

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن يحمل عذباً زلالاً ^(٣)

وفى ذلك دليل ، على أنه أراد بالوجه ، الدين .

وقال ؛ سبحانه ؛ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ [سورة الروم : آية ٣٠] ، ولم يرد

الوجه ، دون القلب وسائر الأبعاد ، وإنما تاويل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ [سورة الروم :

(١) عباس بن مرادس السلمى . من مضر ، أبو الهيثم : شاعر فارس : من سادات قومه ، أمه الحنساء الشاعرة ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، جاهد مع النبى ﷺ ، وله ديوان مطبوع توفى سنة ١٨ هـ ، انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٣ / ٢٦٧ وابن سعد ٤ / ١٥ .

(٢) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد الشعراء الجاهليين الذين تالهاوا ، وكانوا على الحنفية السمحة ، وابنه سعيد ابن زيد أحد كبار الصحابة ، والعشرة المبشرين بالجنة . انظر أخباره فى الأغاني ٣ / ١٥ - ١٧ وابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٧ .

(٣) والبيتان فى المعارف ، ص ٢٧ ، والأغاني ٣ / ١٧ ، والطبرى : التفسير ١ / ٣٩٣ من بحر المتقارب .

آية ٣٠ : أى : أقم نفسك للدين ، وتأويل أقم نفسك للدين ، إنما هو ، قم بالدين .

وقال ، سبحانه . : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكَفَرُوا آخِرَهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧٢] يعنى : صدر النهار .

وقال بعض أهل العلم : أول النهار ، فذكر الله للنهار وجهًا ، ولم يرد به ، وجهًا من الوجوه ، التى أمر بغسلها عند الوضوء .

وقد يجوز فى اللغة القول : بمثل هذا وجه المتاع ، وهذا وجه القوم وفاضلهم وهذا وجه الدار ، وهذا وجه الكلام ، وهذا وجه العمل .

معنى قولهم هذا وجه الكلام : أى صدقه وبيانه ، ووجه العمل : أى العمل صوابٌ ، وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾ [سورة المائدة : آية ١٠٨] أى : يأتوا بها على صدقها .

وتأويل قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] له معانٍ .

١- منها ما أريد به وجه الله من العمل الطيب ، والقول الحسن .

٢- ومعنى آخر فى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] إلا هو ، ومن أراد هذا المعنى ، قرأ « وجهه » « مرفوعاً » ، وله شواهد أيضاً ، من أراد قرأته ^(١) مفتوحاً ، والمعنى فيه ثواب (الله ، عز وجل ، وقال) ^(٢) ، الله عز وجل ، فى كتابه ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [سورة المائدة : آية ٦] فمعنى هذا الوجه ، معنى واحد ، وهو الوجه الذى فى الناس ، وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى .

وقوله : ﴿ قَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٥] دليل على أنه الله ، لأن الشرقى والغربى ، والذى بين المشرق والمغرب ، لا تكون جهتهم جميعاً تلقى وجه الله ! .. لأن وجهه الذى هم مقابلون دون ما سواه . فيبطل قولهم فى تأويلهم : ثم وجه الله .

وزعموا أن جهتهم جميعاً تلقاء ، وجه الله ، ويبطل قولهم : خلق آدم على تودة

(١) فى الأصل : أرادته قراءه .

(٢) زهادة من الهامش .

وجه الله ؛ لأن الصورة وجه ، وهى لا تواجه إلا ما كان تلقاءها . ومما يبطل قولهم فى زعمهم أن الله على العرش ، دون ما سواه ، وأن الملائكة يسبحون من حول العرش ، فقد أحاط المسبحون بالمسيح ، إذ هم حوله ، ولا يكون توجيههم ، وتسبيحهم تلقاء وجه الله ، وإن قالوا : إن جهتهم جميعاً ؛ وأن الله هو أينما تولوا . رجعوا إلى التوحيد الأول^(١) .

* * *

(١) انظر كلام أهل السنة فى الوجه ، فهو قريب مما ذكره القاسم ، البغدادى : أصول الدين ، ص ١٠٩ .

الرد على من زعم أن الله تتركه الأبصار، وتحيط به

الأعين، تعالى عن ذلك

الحمد لله ، الذى يدرك الأبصار ، ولا تدركه ، وهو الواحد المتكبر العزيز القهار ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [سورة الشورى : آية ١١] زعم قوم من أهل الجهل ، أن العباد غداً ، يعاينون ربهم جهرة ، ينظرون إليه ، كما ينظر بعضهم بعضاً ، مُحاطاً به محدوداً ! ..

وتأولوا قول الله ، عز وجل : ﴿جُودَ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) [سورة القيامة : الآيتان ٢٢ - ٢٣] .

وقوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة بقره : آية ٢٦ .. وصحتها] . وقوله : ﴿كَلَّا ۚ ۖ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ (١٥) [سورة المطففين : آية ١٥] ، وقوله يخبر عن موسى ، صلى الله عليه ، : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [سورة الاعراف : آية ١٤٣] .

ونحن مقرون بالنظر من أولياء الله فى جنته ، على غير تحديد ولا إحاطة ، جل الله عز وتعالى علواً كبيراً^(١) ! .

* معانى النظر فى اللغة :

والنظر له فى لغة العرب معانٍ :

١- أحدها أن يلاقى الشئ جهرة ، ويحيط به بالعيان ، بإدراك وتحديد . فيقال : نظر إليه ، وعوين وأدرك وأبصر وجوهر .

٢- ومعنى آخر من معانى النظر لأبالعيان ، من نظر البصر ، ولكن يُنظر إليه نافعاً له ، ومن ذلك قول العرب : انظر إلى شرائع الدين ، ما أحسنها ، انظر إلى كلام عبد الله ، ما أفصحه وأبينه ، انظر ! .. إلى ماذا صنع الله بعباده ، وانظر إلى الذين جابوا الصخر بالواد ، ماذا إليه صاروا ! .. فتجيب^(٢) العقول له ، قد نظرت إلى ذلك كله ، ورأيت فى ذلك منه ، لا بعيان البصر .

(١) أهل السنة والجماعة يتفقون مع أهل البيت فى أن الرؤية فى الآخر من غير تحديد ولا إحاطة ، ولا خلاف بينهما فى ذلك ، انظر الأشعرى : الإبانة ، ص ٣١ - ٥٠ .

(٢) فى الأصل : فتحب .

ويقال : إنه قد نظر فى لغة العرب ، وما ينظر فلان إلا إلى الله ، ثم إلى محمد ،
ويقول : ما ينظر إلا إلى عبد الله ، وعبد الله غائب .. !

٣- ومن ذلك النظر إلى الشئ بأفعاله وآياته ، لا روحه وشخصه ، ويقول : رأيت
نفس زيد حين خرجت ، لا تريد بذلك نظر العين للروح .

ويقال : رأيت عقل زيد صحيحاً ، ونظرت إلى عقله ، فرأيت عقلاً حسناً ،
والعقل روحانى لا يرى بالعيون ؛ لأنه ليس بشبح ولا لون ولا جسم .

ويقال : احسنت النظر ، وأسأت النظر ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا يزال ، وإن كانت له سعة إلى الذى رآه لم يظفر به نظرُ

وكذلك يقول : رأيت حلم زيد وعقل عبد الله ، وإنما رأيت الحلم نافعاً لهما ،
ويقال : رأينا غضبه ورضاه ، وما أشبه ذلك .

وقال الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [سورة الفجر : آية ٦] ولم يرد ذلك بعيان
جهرة ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان : آية ٤٥] .

* الرؤية بين رسولين إبراهيم وموسى ، عليهما السلام :

وقال إبراهيم الخليل ، صلى الله عليه ، : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [سورة البقرة :
آية ٢٦٠] وقد رأى كيف أحياه الله من نطفة ؛ ولكنه أراد أن يريه الله كيف يحيى
الموتى ، من وجهه من الوجوه ، الذى عاين من إحياء الله الأجسام الميتة ، من النطف ،
وغير النطف .

وكذلك سأل موسى ، صلى الله عليه ، ربه فقال : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [سورة
الاعراف : آية ١٤٣] ومعناه ومعنى الخليل ، صلى الله عليهما ، فى نفس النظر سواء ؛
لأنهما أرادا أن يعاينا بأبصارهما من معالم الله وآياته ، ما لم يزل الله يملك ، من المعالم
والآيات ، إلا أن موسى ، صلى الله عليه ، عاصر من قبل أن سأل الله آيةً ، ليست من
آيات الدنيا ، ولم يكن له أن يسأل تلك الآية ، وسأل النبى ، إبراهيم ، ربه آية من
آيات الدنيا ، فكذلك لم يكن فى سؤال الله عاصياً .

وإبراهيم وموسى فى سؤاليهما وقوليهما ، لم يسألا ربهما أن يرياه جهرةً ، بمعنى ما

يرى البشر البشر ؛ لأن ذلك شرك ، ولم يكن إبراهيم وموسى ، صلى الله عليهما بمشركين ؛ : (والله لا تدركه الأبصار)^(١) وقد علما ذلك ، وكان موسى أعلم بالله ، من أن يسأل ربه أن يعاينه جهرة ، بل أراد أن ينظر إليه ، بأنه يحدثها له فيراه ، ليست من آيات الدنيا ، ثم تكون له آية مرتجحة ، لا يحتملها الناس لو شاهدوها في الدنيا ، إلا أن يزداد في قوى حواسهم ، فقيل لموسى : إن بنيتك لا تحتمل ما سألت ، واعرف ذلك بهذا الجبل ، فإنه أعظم منك خلقاً ، وأشد منك قوة ، وأشمخ منك طولاً وعرضاً ، انظر إليه كيف يعجز عن إدراك ما سألت مثله ، ولم يكن الجبل بذى عقل ، والله ، تبارك وتعالى ، لا يتجلى إلا بالتجلى الذى به يُدرك ، ولن يدرك من ربنا ، إلا جلالتة ، وآياته وتدبيره وصرفه ، فبذلك يتجلى الله ، وذلك بأن الله ، سبحانه ، ليس بشخصٍ أحدث فى الجبل عقلاً يدرك ، ما يتجلى له ، فإن الله ، تبارك وتعالى ، أحدث آية ، فتجلى الله للجبل ، وجعلها آية سماوية ، ولم تكن أرضية .

✽ فى تفسير معنى تجليه ، تعالى ، للجبل :

وقال بعض الحكماء : أبرز بعض العرش للجبل ، رواه يوسف بن الأسابى عن الثورى^(٢) ، وذلك قوله : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، فعرف الجبل ربه ، بتجلى الرب له ، بما أشهر له ، فعظم الجبل الله ، فبلغ من تعظيم الجبل لله ، أن تقطع وساح ، وذهب ، وإن الله جعل ذلك موعظةً للقلوب القاسية ، لتلين ، والقلوب الذاكره ، لتسترشد ، ولئن . ترجع القلوب إلى ربها بشدة الفكر والتعظيم لله العظيم .

قال لموسى : لن ترانى ، من وجه ما سألت ؛ لأن التجلى إنما يكون من وجه ، يُدرك من المتجلى ، فتجلى الأشخاص للأبصار ، ولا تجلى لغير الأدوات من الأسماع والآذان واللامس ، وقد تجلى الأصوات للأسماع ، وإنما يتجلى المتجلى من وجه ما يدرك به ، فقد يقول السامع للكلام ، قد تجلى لى هذا الكلام ، ولا يراد به عيان البصر ، والله ، تبارك وتعالى ، ليس بشخصٍ فتجاهره الأبصار ، ولا هو صوت فتوعيه الأسماع ، ولا رائحة فتشمه المشام ، ولا حار ولا بارد ولا خشن ولا لين ، فتذوقه اللهوات ، ولا

(١) زيادة من الهامش .

(٢) انظر ابن كثير فى التفسير ٢٧٣ / ٢ ..

تلمسه الأيدي ؛ لأنه ، سبحانه ، خالق الأسماع وما أدركت ، والأبصار وما جاهرت ،
والمشام وما شمّت ، واللهوات وماذاقت ، والأيدي وما لمست .

فهذه الخمس المدركات ، والخمس المدركات كلها محدثات مخلوقات ، والله ،
سبحانه ، لا يشبه شيئاً منها ، ولا فيها شيء يشبه الله ، وكذلك لا يتجلى الله من وجه
ما تتجلى هي ، لأنها مخلوقات وإنما يتجلى من وجه ما يجوز من صفته ، بتجلياته
وتدبيره ، على خلاف تجلى ماسواه .

وقد تجلى الله سبحانه ، فى كتابه ، بكلام لنا فى وحيه ، وآياته ، فهذا معنى من
معانى تجليه عز وجل .

وقد يقول القائل : (أرى) عقلك صحيحاً ، ويقول : إني أحب أن أرى عقلك
وأمتحنه بتدبيرك ، (و) إن أحسن التدبير ، قال له صاحبه : قد رأيت عقلك حسناً .
وأما قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [سورة القيامة :
الآيتان ٢٢ - ٢٣] . فقد روى الناس عن سلفنا ، أنهم قالوا : هو النظر إلى ما يأتيهم من أمر
الله .

وقال بعضهم : هو الانتظار لثواب الله ، ولا يرى الله أحداً ، وكلا القولين
جائز^(١) .

* القاسم يرى رؤية أولياء الله له فى الجنة :

ولسنا ننكر أن يكون أولياء الله فى الجنة ، يرون ربهم لا بتحديد ولا إدراك ، ولا
إحاطة ، وكذلك كان مضى قول مجاهد^(٢) فى أن لا يرى الله أحداً ، أى لا يراه أحد
بتحديد ولا إدراك إحاطة ، ولكن يراه أولياؤه ، وينظرون إليه نظر مخلوقين إلى خالقٍ
ينتظرون ثوابه ، يرون تدبيره ، لا كنظر مخلوقين إلى مخلوق ؛ لأنه ليس كالمخلوقين ،
ولا يجوز أن يقال : نظر إلى من ليس كالمخلوقين ، كما ينظر إلى المخلوق !..

(١) فى الهامش فائدة يقول صاحبها : أن الزيدية الأوائل لا ينكرون النظر حقيقة فى الآخرة ، وإن أولوا النظر بالانتظار ،
على المجاز ، وما ذكره عن السلف فهو (مجرد احتشام) .

(٢) انظر ابن كثير فى تفسير ٤/ ٤٧٦ ، ومجاهد بن جبر ، أبو الحجاج ، التابعى المشهور ، والمفسر المعروف ، ولد ٢١ هـ
وتوفى ١٠٤ هـ ، أخذ تفسيره من ابن عباس ، وله تفسير يتقيه المفسرون ؛ لأنه كان يأخذ من اليهود . انظر
الزركلى / الاعلام : ٥ / ٢٧٨ .

وفى الخلق ما لا يرى ، وهو الروح والعقل ، وما أشبههما ، فلا يقال : إن شيئا من ذلك يرى كما ترى الأشخاص !..

فكيف يقال : إنه يرى الله كما يرى الشخص ، وإذا ابتعث الله أوليائه من الأجداث ، أرسل إليهم ملائكة ليبشروهم ^(١) بالجنة ، وينادونهم أن تلکم الجنة ، أورثتموها بما كنتم تعملون ، وذلك قبل أن يدخلوها ، وهم ينظرون إلى نبيهم ما وعدهم ، وما به بشرهم ، فوجوههم يومئذٍ ناظرة بهجة ، مشرقة حسنة ناعمة ، تنظر ٦٥ ظ / إلى ربها بالحب له ، والرضا عنه ، والرغبة إليه ، ينظرون ما يأتيهم منه ، (و) ما بشرتهم به الملائكة ، وإن الله ، عز وجل ، ينظر إليهم نظر الخالق إلى المخلوق المطيع الحبيب ، وينظرون إليه بالرغبة فيما لديه ، نظر مخلوقين محبين إلى خالقهم ، المحبوب عندهم ، المنعم عليهم ، ونظر معرفة ، لا نظر تحديد ، وإحاطة .

والله ينظر إليهم ، وقد كان يراهم فى الدنيا ؛ إلا أن نظره هنا (نظر) هذا ثوابٍ ورحمةٍ ووفاء بما وعدهم ، والمزيد لهم من كل كرامةٍ ، إذ أدخلهم الجنة ، فلا يزالون ينظرون إليه فى جنته بالرضا عنه ، والاستزادة مما عنده من فوائد النعم ، وتحف الكرامات ، مع ما قال لهم ، عز وجل : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥) [سورة الذاريات : آية ٣٥] ، من ربهم ، لا تنقطع التحف والخيرات الحسان من ربهم أبداً عنهم ، وينظرون إلى ربهم فى الجنة لمقعدهم ، وما هم فيه من الازدياد ، من نعيمهم والإحسان إليهم .

وإنما يوصف الله ، سبحانه ، بنظر أوليائه إليه ، بهذه المعانى التى ذكرنا ، ولا ينظر إلى الله أحد من أعدائه يوم القيامة ، بمعنى ما ينظر أولياؤه .

ويقال فى اللغة : إنما ينظر العبدُ إلى سيده ، وإنما ينظر إلى الله ، ثم إليك . يريدون بذلك ما يأتى من المنظور ، وعلى هذا المعنى ، قول الناس . وقال الله ، تبارك وتعالى ، يخبر عن أعدائه ، أنه لا ينظر إليهم ولا يكلمهم ، وفى الحالة التى لا ينظر إليهم الله يراهم ، وقوله : لا يكلمهم فيها : أى لا يسألهم ، وقد كلمهم بما فيه حزنهم ، وأن العالمين بالرب ، علم اليقين ، عاينوا بيقينهم القيامة ، وأبصروا وجوها مسودة ،

وقد علاها القتر والعبوس ، جزاء بما كانوا يصنعون ، فراعهم ما أبصروا بيقينهم ، من تلك المقطعات فحذروا أن يكونوا من الذين قال الله : ﴿ وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ ﴾ وجللاً^(١) ، يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٠٣] ، وهذه مدحةُ الله ، وحسن ثناء عليه ، وتعظيم له ، فاستيقنوا أن الثناء والمدح عن الله ، عز وجل ، غير زائل في الدنيا ، ولا في الآخرة .

بصروا بيقينهم في القيامة إلى وجوهٍ ابيضت ، فهي ناضرة ، مستبشرة ، ضاحكة مسفرة إلى ربها ناضرة ، في روح وجنات عالية ، يخبرون فيها بصدقهم عن الله ، في القول والعمل له ، والموافقة له ، في الأيام الخالية .

فلذلك وضع القوم كلامهم من ربهم وضع الرب ، ولم يقولوا بغير ما قال الله لهم ، وقالوا ، كما قال لهم ربهم ، إلى ثواب ربها ناضرة ، ولم يقولوا ، لربها مجاهرة ، وإنما الشيء إذا جوهر ، نظر إليه بالعيان ، لا بالوجه ؛ لأن الوجه غير العين ، ولو كان ما قالوا على ما ادعوا ، لقال في كتابه «أعين» إلى ربها ناضرة ؛ لأن الوجه لا يرى ولا يبصر ، وإنما البصر رؤية ، للعينين^(٢) اللتين في الوجه . فهذه معانٍ لطيفة ، مفصلات في النظر .

وقد قال إبراهيم الخليل ، لابنه إسماعيل ، صلى الله عليهما : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ [سورة الصافات : آية ١٠٢] وليس ذلك رؤية حس . ثم قال : انظر ماذا ترى ، ولم يرد إدراك العين ولا إحاطة البصر ، في قوله : ماذا ترى ، في الذبيح أن يسلم لربه نفسه ، وتجوّد لربها ، فرأى موافقة أبيه ، في طاعة ربه ، بما أمره ، فأمكنه من ذبحه ، واستسلم لربه ، وليس ذلك ، بنظر العين ورؤيتها .

* احتج المثبتون للرؤية بسؤال موسى لها :

وكان مما احتج به القوم ، أن قالوا : إن موسى ، صلى الله عليه ، سأل ربه فقال : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ ولم يكن ذلك سؤالاً للنظر الذي هو رأى العين بالإحاطة والتحديد جهرةً .

(١) في الاصل : وحل .

(٢) في الاصل : والعينين .

٦٦ و / وقد رآينا الله ، عز وجل ، ذكر في كتابه ، حدث موسى في قتله القبطي ، وما أخبرنا ، سبحانه ، عن آدم ، صلى الله عليه ، في معصيته لاكل الشجرة ، وسمعناه ، عز وجل ، ينكر في كتابه أحداث أنبيائه معينا لأحداثهم ، ولم يكن ما غاب من أحداثهم عند الله ، موبقاً ولا كبيراً ، بل كانت أحداث أنبيائه صفائر ، ولم تكن بكبائر ، وكان الله ، عز وجل ، يأخذهم في عاجل الدنيا من أجل أحداثهم ، التي لم تكن بكبائر ، فحبس بعضهم في الظلمات ، وجوف الحوت ، وبمعان ذكر الله في كتابه وكيف صنع بنى إسرائيل والنبیین ، ولم ينهجم من الله إلا النقلة عن صفائهم ، والاستغفار بالإثابة والندم .

✽ جزاء قوم موسى علي سؤالهم الرؤية :

وقد سأل قوم موسى ، فقالوا : أرنا الله جهزةً فأخذتهم الصاعقة فزجر الله العباد عن السؤال ، عما يضاهي ما سأل القول نبیهم ، صلى الله عليه ، من رؤية الله جهزةً ، فكيف يتوهم أن يكون موسى ، صلى الله عليه ، سأل ربه مسألة القوم الذين أخذوا بالنقم ، من أجل تلك المسألة ، التي سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ؟ ..!! وعلم موسى أن سؤالهم عن ذلك شرك ، وقد نهى موسى قومه عن معاني الشرك كلها ، ولم يكن ، صلى الله عليه ، ليخالفهم إلى ما نهاهم عنه ؛ لأن مسألة ^(١) القوم له كفر ، ولا يجوز أن يتوهم على موسى ، عليه السلام ^(٢) ، أن يسأل الله مسألةً ، هي كفر ، ولو كانت مسألة موسى على ماتوهم المشبهون ؛ لنزلت ^(٣) به من الله العقوبة ، مثل ما نزل بغيره ، ولغلب الله ذلك تغليطاً ، يعلم العباد أنه أكبر من الصفائر ، وفي تكفير الله ، عز وجل ، الذين قالوا : أرنا الله جهرة ، إخراج مسألة موسى ، عليه السلام ^(٤) ، من معنى رؤية الجهرة ، وإخراجه من جهل القوم بالله .

ويقال لهم : هل يدرك البصر إلا شخصاً أولونا ؟ ..!!

فإن قالوا : لا .. قيل لهم : أخبرونا عن ربكم ، أتقولون : إنه لون ؟ .. فإن قالوا : نعم .. قيل لهم : من أين قلتم ذلك ، وما بينتكم عليه ؟ ..! ولن تجدوا سبيلاً إلى إثبات اللون ، إلا من وجه الرواية .. !

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٤) زيادة ليست في الأصل .

(١) في الأصل : مسله .

(٣) في الأصل : لرلت .

* تعارض الروايات فى الرؤية :

يعارضون بأضداد رواياتهم ؛ فإن جعلوا الرواية حجة ، لم تصح لهم دعوى ، ولا لنا ؛ لأنهم رووا خلاف ما روينا ، وروينا خلاف ما رووا ، ولا بد أن يكون أحدهما محققاً ، والآخر مبطلاً ، وفى إبطال قول أحدهما إبطال لإحدى الأثرين ، وفى إبطال إحدى الأثرين إخراج الأثر الشاذ من الحجة ؛ لأن الشاذ من الأثر ، لا يكون مثل كتاب الله ولا سنة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

مع ما يدخل عليهم من التناقض فى إثبات اللون لمعبودهم ، من وجه ما ذكرنا ، إيجاد العجز عليه ، وإلزام النصب ، لأن لون الحدقة غير لون اللسان ، ولون اللسان غير لون الوجه ، وفى العين وجوب الاثنى فصاعداً ؛ لأن اللسان غير العين ، والعين مخالفة للسان ، وكذلك كل جزء غير ما يليه ، وهو مقصر عن صفة غيره .

فإن قالوا ليس لوناً . قيل لهم : فكيف ترى العيون ما ليس يكون لوناً ، والعيون لا ترى فى العقول إلا ملوناً ؟ .. ١١ .

وإن لجأوا ^(١) ، إلا أن يقولوا : إن الله يعطيهم حاسة سادسة فى القيمة ، بها يدركون ربهم إدراك الجهل ^(٢) .

يسألون ، عن الذى يدركون ربهم به : أليس قد نال ثواباً ، لم ينل ^(٣) الجزء الذى كان فى الدنيا له ناصباً عاملاً ، فيكون لمن لم يطع ، ولا ثواب لمن أطاع ^(٤) !

٦٦ ظ / ويقال لهم : كيف يسمى المطيع مدركاً ، وليس هو المعاین وإنما المعاین ، هو السادس المحدث لهم فى الآخرة ؟ ١٢

ويسألون : هل يجوز أن يعطوا سابعاً يدركون به ، لمسه أو ذوقه أو شمّه ، كما جُوزتم السادسة التى يكون بها الرؤية ؛ ليكون ذلك أتم لنعيمهم ، إذا لمسوا ما عاينوا ، وصافحوه وذاقوه وشمّوه ؟ .. ١١ . ^(٥)

(٢) مكذا فى الاصل ، وربما كانت : الجمل .

(١) فى الاصل : لجأوا .

(٣) فى الاصل : ينال .

(٤) يقصد أن الجزء على الطاعة ثواباً ، فما الطاعة التى قدمها العبد جزءاً للرؤية ؟ .

(٥) للجبرينى رد على هذه الحجة فى كتابه الإرشاد ، ص ١٧١ ملخصها أنها اتصالات وليست مدركات وهو كلام ضعيف فليطالع .

فإن جَوَّزُوا ذلك ، جعلوه منفصلاً بئناً بعيداً مُبْعَضاً ، وفي الانفصالِ والبيئونةِ والبعدِ ، والبعضِ ، وجود العجز والنقص ، والعاجز ليس بالكاملِ التام القوى القادر ، وليس العاجز الناقص بإله ..! فتعالى الله عن العجز والنقص .

* مرويَّات المجسمة في الرؤية :

وقد أجمع المصلون معنا ، أن إلهنا ، عز وجل ، لا تدركه الأبصار ، إلا فرقة من الروافض^(١) ، ووافقتهم الحشوية ، فقالوا : إن النبي ، صلى الله عليه ، رأى ربه محمماً الشعره ..!^(٢)

وروا من وجه آخر أنه رأى في صورة الشاب المراهق مُقَصَّصاً ، فزعم بعضهم أن هذه الرؤية كانت بالقلب ، وزعم آخرون أنها كانت بعيان البصر ..!

وقد روا بخلاف ذلك أن ثلاثاً من قال بواحدةٍ منهن فقد أعظم الغربة على الله .. ومن زعم أن محمداً رأى ربه ..!^(٣)

وفي هذا انتقاض الخبر ، وإذا تناقض الشيء ، لم يكن بحجةٍ ، وأولاهما بحجة الحق ، أشبههما بكتاب الله ، ويقال لهما جميعاً^(٤) : أخبرونا إذ زعمتم أن النبي ، ﷺ ، رأى ربه ، هل كان يقدر عقل النبي على صفة ما رأى ؟! ..

فإن قالوا : لا .. قيل لهم : وكان يقدر أن يتخيل ما عاين ؟! ..

(١) فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وتسمى الشيعة أيضاً ، وهم الذين شايعوا علياً وأولاده على إمامة المسلمين بعد النبي ، ﷺ ، ورفضوا سواه ، وقالوا إن الإمامة إن خرجت عنهم فبظلم أو تقيع ، وقيل : إنهم اثنان وعشرون فرقة ، وأصولهم ثلاث فرق : الغلاة والزيدية والإمامية التي يطلق عليهم الروافض لرفضهم زيدا .

(٢) ذكر ابن الجوزي الكثير من أحاديث المشبهة والمجسمة في كتابه دفع شبه التشبيه وذكر من ذلك أحاديثهم في الرؤية انظر : ص ٣٣ . ذكر ابن الجوزي ، ما روى عن ابن عباس عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : « رأيت ربى جعداً أمرد ، عليه حلة خضراء » ثم علق على هذه الرواية بقوله : « وهذا مروي من طريق حماد بن سلمة وكان ابن أبي العوجاء الزنديق رهيب حماد ، وكان يفسد في كتبه هذه الأحاديث التي لا ثبوت لها ، ولا يحسن أن يحتج بها » . انظر ، دفع شبه التشبيه ، ص ٣٢ .

(٣) هذه مسألة اختلف فيها الصحابة فأنبت بعضهم جواز الرؤية في الدنيا نرسول الله ، وقالوا : إن رأى ربه في المعراج وعلى رأس هؤلاء ابن عباس ، أما جمهور الصحابة ، ومعهم السيدة عائشة التي أنكرت ذلك بشدة ، وقالت بانه : فرية على الله ، انظر في ذلك الباقلاني : الإنصاف ، ص ١٨٦ ، مع العلم بأن الرؤية للنبي في المعراج ثابتة بأحاديث صحيحة في البخاري ومسلم ، ولم يرو عن أحد من الصحابة أنها كانت لله تعالى .

(٤) أي للحشوية والروافض .

فإن قالوا : نعم .. جَوَّزُوا القدرة على صفة الله ، وإحاطته ، والتفكير فيه ، والله ، عز وجل ، يقول : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (١١٠) [سورة طه : آية ١١٠] ..! وإن قالوا : لا يقدر على تخيل بقلبه .

قيل لهم : كيف يدرك ما لا يتخيل ، ولا يحيط به العقل !! .. وهذا محال ؛ لأن الإدراك أكثر من التخيل ، وإذا بطل التخيل ، لم يصح الإدراك .

ويقال لهم : خبرونا إذ جَوَّزْتُمْ أن يكون النبي ، ﷺ ، رآه ، فما يشعركم لعله قد أسرَّ إلى بعض أصحابه بصفةٍ تحديداً ^(١) ، فورث ذلك الصاحب علم التحديد من بعده إلى يوم القيامة ، فيكونوا لم يدركوه كما أدركه ؟ ..!

فإن قالوا : فقد يكون ذلك . فقد عبدتم ما لا تعرفون .

ويقال لهم : أليس قد يمكن أن يكون وارث ذلك ، بصفةٍ تحديداً ، وتخيله بقلبه ، على غير ما تخيله ذلك العالم ، بصفة . فقد عبدتم خلاف ما عبد النبي ، ﷺ .!

فإن احتج القوم بقول الله ، تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [سورة البقرة : آية ٤٦] . كان جوابنا : أن الذين يظنون ، أى : يوقنون أنهم مبعوثون ، بعد الموت للشواب والعقاب .

* تأويل لقاء الله :

وكذلك تأويل قوله ، تعالى ، : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٥] أى من كان يؤمن بالبعث ، فإن وعد الله وعيده ، للذين هما الجنة والنار ، لآتٍ ، وليس ذلك اللقاء رؤية ولو كان رؤية ، لقال من كان يرجو لقاء ربه ، فإن الله يلاقى ..!

ويسألون عن الذين كفروا عن لقاء ربهم .

فإن قالوا : نعم .. لم يفرقوا بين الذين يظنون أنهم مُلَاقُوا ربهم فى الآخرة ، وبين الذين كفروا بلقاء ربهم ؛ لأن هؤلاء لاقوه وهؤلاء لاقوه ..!

وإذا زعموا أن اللقاء عندهم الرؤية . فما الفرق بين الولي والعدو !! .

وإذا كانا يلقيان ربهما ، واللقاء رؤية ، والرؤية عندهم أفضل الثواب .

وإن زعموا أنهم لا مؤمنون ، ولا مصدقون بتكذيب الكافرين من لقاء ربهم ،
٦٧ و / جحدوا قول الله ، سبحانه ، : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلَاقِيهِ ۖ ﴾ [سورة الانشقاق : آية ٦] وقوله : ﴿ فَأَعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ ﴾ [سورة
التوبة : آية ٧٧] فقد أخبر أنهم منافقون ، وأنهم يلقونه .

وإذا زعموا أن اللقاء رؤية ، والمنافق والنبى ﷺ يريانه ، بزعمهم ^(١) ، إذ كان
اللقاء عندهم رؤية ف ، ما فضل ثواب النبى ﷺ وآله ، على عقاب المنافق ؟ .. بل
لا فضل بينهما إذا اشتركا فى أفضل الثواب ، وهو الرؤية !!

وفساد هذا المعنى بين " ؛ وذلك لأنهم تناولوا لقاء الله ، تحديداً بالإحاطة .

وزعموا أيضا أن النبيين ، عليهم السلام ، وغيرهم ، يشبهون ^(٢) فى لقاء الله ،
الذى هو رؤية ، إلا أن يزعموا أن اللقاء غير الرؤية ، فيصيروا إلى قولنا .

وإن هم سألوا عن التأويل للقاء الله ، قلنا لهم : إن الأعداء والأولياء ، كلهم ملاقوا
ربهم ، ولقاؤهم انبعاثهم من أجداثهم ، ومصيرهم إلى معادهم ، يوم محشرهم ،
ويوم إلى الله مرجعهم .

* تأويل حجابيه عن الكفار :

وتأويل ما سألوا عنه ، من قول الله ، سبحانه ، : ﴿ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَّحْجُوبُونَ ﴾ [سورة المطففين : آية ١٥] وذلك أن الله ، عز وجل ، لا ينالهم برحمته ،
وهم عن ربهم لمحجوبون ، وترجمت هذه الآية آية أخرى ، قولهم ﴿ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا
يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧٧] أى نظره إلى أوليائه برحمته ، ولا يسمعهم
كلاماً ، ما لهم فيه سرور ، ولا فرح ، ولا ينظر ^(٣) ولا ينظر إليهم : أى لا ينيلهم
رحمة ، ولا يأتيهم بفرح .

(١) فى الاصل : إذا .

(٢) ربما كانت : يشتركون .

(٣) تكررت فى الاصل .

وقد أجمع أهل الصلاة أن الله ، عز وجل ، لا ينظر إلى أعدائه ، وهو يراهم فى الحالة التى لا ينظر إليهم فيها ، وفى ذلك دليل على أن أوليائه ^(١) ينظر إليهم برحمته ، وهو يراهم ، وينظر إليهم برحمته ، ونظره إلى أوليائه رحمته ^(٢) ، وذلك نظره ، الذى كان لأوليائه ، ولم يكن لأعدائه ، وكذلك ينظر أوليائه إليه ، على خلاف التحديد والإحاطة .

* النظر بمعنى الدعاء :

وقد قالت العرب : ما نظر إلا إلى سيدنا ، وأجمع المسلمون على الدعاء إلى الله ، أن قالوا : اللهم انظر إلينا . والدعاء على عدوهم ، أن قالوا : لا نظر الله إليهم . وليس ذلك سؤالا ^(٣) منهم له ، أن لا يراهم . . . وذلك أنهم يعلمون أن الله ، عز وجل ، يراهم ولم يعلموا أن الله ينظر إليهم نظر رحمة ورضا ، وقد علموا أن الله ، عز وجل ، يراهم ويرى كل شئ ، وأن الأشياء كلها له جهرة ، وإنما أراد المسلمون بدعائهم الله ، ينظر إليهم ، أن يكرمهم ، ويجود برحمته عليهم .

واعلم أن الله ، عز وجل ، إذا مدح نفسه بمدحة لم يزلها عن نفسه فى آخره ولا دنيا ، كذلك قال الله ، سبحانه : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٠٣] فالله لا يزيل مدائح .

وزعم العمارة أن محمداً ، ﷺ وعلى آله ، رأى ربه فى الدنيا حين أسرى به ، تكذيباً للقرآن ، ورداً على الرحمن ، واحتجوا بقول الله ، عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) ﴾ [سورة النجم الايتان ١٣ - ١٤] فظنوا أنه رأى ربه ، وإنما جبريل ، ﷺ ، وراه نبي الله على خلقته التى عليها جبل ، ولم يره النبي ، صلى الله عليهما ، على تلك الخلقة قط إلا مرتين ، جعل الله له ذلك آية بينة وكرامة شريفة غالية ، وذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴾ [سورة النجم : آية ١٨] فآين الله ، عز وجل ، من آياته !! ^(٤)

(٢) العبارة فيها تكرار .

(١) فى الاصل : اوليائه .

(٣) فى الاصل : سولا .

(٤) حديث رؤية النبي ، ﷺ ، جبريل ، عليه السلام ، على هيئة التى خلقه الله عليها رواها البخارى ، ومسلم ، والترمذى وأحمد ، والطائسى ، وسبق تخريجها فى مصادرها ، فيما سبق من هذه الرسالة ، فلتراجع .

وكيف يتوهم أن النبي ، ﷺ ، رأى الله ، والله يقول : رأى من آيات ربه الكبرى ، وآيات ربه غيره ! .. وإنما وقعت الرؤية من النبي ، ﷺ ، على الذى هو من آيات ربه الكبرى ، وليس الله ، سبحانه ، بالحواس مدركًا .

٦٧ ظ / وتوهموا أن تجلى الرب ، سبحانه ، للجبل ، هو أن تبدى للجبل ، وبرز له بذاته من غير أن يكون للجبل من المقام فى طاعته ، والمنزلة الرفيعة ما لموسى ، صلى الله عليه ، مع ما اختص الله به موسى بكلامه إياه تكليماً ، واستخلاصه إياه بالرسالة له ، ثم سأل^(١) موسى ، ومسالته إياه أن يراه ، بزعمهم ذلك ، وكان ذلك منه دليلاً ، ثم خصّ الجبل الذى لم يكن الله كلمه تكليماً ، ولا اصطفاه برسالته ، فبداهه بذاته ، وبرز له متجلياً ، وخصه بكرامة ، لم يجعلها لجبريل ، ولا لميكائيل ، ولا للملائكة المقربين ولا للمرسلين ! ..

* حقيقة النظر فى الآخرة :

وقد قال الله ، عز وجل : إن أولياءه غداً ، ينظرون إليه فى جواره ... ليس ذلك النظر إحاطة ولا تحديداً ، بل ينظرون إليه من غير تحديد ، وذلك النظر ، أفضل من دركهم . والدرك دركان ، درك هو المشاهدة والملاقاة جهرَةً .

والدرك الثانى : ما يرد على القلب . وقد أدرك المؤمنون فى الدنيا ربهم ، وعرفوه بقلوبهم ، فلذلك أطاعوه ، ولذلك^(٢) أحبّوه ، ولهم فى ذلك الدرك سرور ، ولا يغلب عليهم فى السرور ، الذى نالوه ، من معرفة الدرك لله .

* العارفون بالله ودرك المعرفة :

والمؤمنون يتفاضلون فى الدرك لله ، وذلك بين فيما يرى منهم ، فى اتصال السرور بالمعرفة ، على حسب اتصال المعرفة بالقلب ، وكلما ما يرقى العارف فى معارج المعرفة ، ترقى فى معارج السرور .

وقد ترى جمهور أمتنا ، يعلمون أن الله عالم بعلمهم ، أن الله عالم ، دركاه ، عرفوا الله وهذا الدرك هو درك العلماء بالله ، فإذا نزل بهم تفصيل معانى (و) دقائق

(١) فى الاصل : سأل .

(٢) فى الاصل : وذلك .

مسائل ، تدخل فى الكلام فى العلم ، كان ذلك دركاً هو عند العالمين بالله ، الذين هم فى المعانى درجات . والعارفون ^(١) بالله فإذا أخذوا فى ذلك العلم ، وجدوا فى ذلك سروراً ، فالناس لا يستون فى درك الله فى الدنيا فى تفاضلهم .

وكذا يتفاضلون غداً فى إدراك الله ، للمعنى الذى ليس هو تحديد لله ، فيكون الله يعطيهم من درك العلم ، ما لا يخطر على قلب بشر فى الدنيا ، مما فيه السرور والتنعيم ، كما أعطى السرور والنعم ، العالمين بالله فى الدنيا ، ما لا يعطى كثيراً ممن سواهم من العلماء الذين هم دونهم .

وقد عرفنا درك المؤمنين فى الدنيا كيف هو ، وأما درك المؤمنين فى المعاد ، فإننا لا نعلم كيف هو ، لأننا لم نراه ، وهو فى الآخرة ثواب ، والثواب مؤجل ، وكل ما كان من ثواب الله فى الجنة ، فلا يعلم كيف هو إلا الله ، إلا أن نعلم أن معنى ^(٢) الدرك لله فى الجنة ، ليس بتحديد ولا إحاطة .

فاعرف معانى الدرك ، واعرف فضل الدرك الذى يكون فى الآخرة ، على فضل الدرك الذى يكون فى الدنيا ، ولو أمدّ الله ، عز وجل ، الأبصار بالمعونة ، حتى تدرك أقل قليل ، نقطة من القطر ، فى مدلهم ليل غائم ، تحت الأرض السفلى ، من أبعد غايات السموات العلا ، ما أدركت الأبصار الله ، وكذلك لو أمدّت الحواس كلها بالمعونات ، حتى تدرك كل محسوس ، ما هجم منها شئ على الله ، سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ^(٣)

تم كتاب المسترشد ، وصلى الله على رسوله
سيدنا محمد النبى وأهله الطاهرين وسلم تسليماً .

* * *

(١) فى الاصل : والعارفين .

(٢) فى الاصل : معنا .

(٣) يبدو القاسم فى الفقرات الاخيرة صوفياً روحانياً خالصاً ، وعارفاً موجهاً ، مما يدل على اعتدال كبير فى فهم الطريق إلى الله ، ومعايشته هو لهذه الروحانية تجربة ومنهاجاً ، ربى عليه مريد به واتباعه .

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

- ٥ - مقدمة عن تاريخ المشبهة والمجسمة فى الفكر الإسلامى
- ١٢ - الكرامية
- ١٧ - حول الرسالة ومنهج القاسم الرسى
- ٢١ - فى وصف المخطوط
- ٢١ - منهج التحقيق
- ٢٣ - القاسم الرسى
- ٢٣ - مؤلفاته
- ٢٥ - نص كتاب المسترشد
- ٢٥ * الله فى كل مكان ، والرد على من قال هو فى السماء
- ٢٦ * معانى الفاء فى اللغة العربية
- ٢٨ * تاويل النفس والرد على المشبهة فيها
- ٢٩ * معانى النفس فى اللغة العربية
- ٣٣ - الرد على من زعم أن الله نور كالانوار المخلوقة
- ٣٣ - معانى النور فى القرآن واللغة
- ٣٩ - الرد على من أنكر من الجهمية أن يكون الله شيئاً
- ٤٥ - الرد على من أنكر من أن يكون الله واحداً ليس بذى أبعاد
- ٤٥ * معانى الواحد فى اللغة
- ٤٨ * تفسير كونه تعالى فى كل مكان
- ٤٨ * حرمة ذكر الله وتقديسه
- ٤٩ * نفى الاعضاء عن الله
- ٤٩ * نفى الزمانية والمكانية عن الله
- ٥١ - الرد على من زعم أن الله وجهاً كوجه الإنسان
- ٥١ * تاويل الكتاب يعرفه الربانيون
- ٥٢ * معانى الوجه فى القرآن واللغة

- ٥٧ - الرد على من زعم أن الله تدركه الابصار ، وتحيط به الاعين ، تعالى عن ذلك
- ٥٧ * معانى النظر فى اللغة
- ٥٨ * الرؤية بين رسولين إبراهيم وموسى ؛ عليهما السلام
- ٥٩ * فى تفسير معنى تجليه ، تعالى ، للجبل
- ٦٠ * القاسم يرى رؤية أولياء الله له فى الجنة
- ٦٢ * احتج المثبتون للرؤية بسؤال موسى لها
- ٦٣ * جزاء قوم موسى على سؤالهم الرؤية
- ٦٤ * تعارض الروايات فى الرؤية
- ٦٥ * مرويات المجسمة فى الرؤية
- ٦٦ * تأويل لقاء الله
- ٦٧ * تأويل حجابهِ عن الكفار
- ٦٨ * النظر بمعنى الدعاء
- ٦٩ * حقيقة النظر فى الآخرة
- ٦٩ * العارفون بالله ودرك المعرفة
- ٧١ * تم الكتاب . الفهرس

